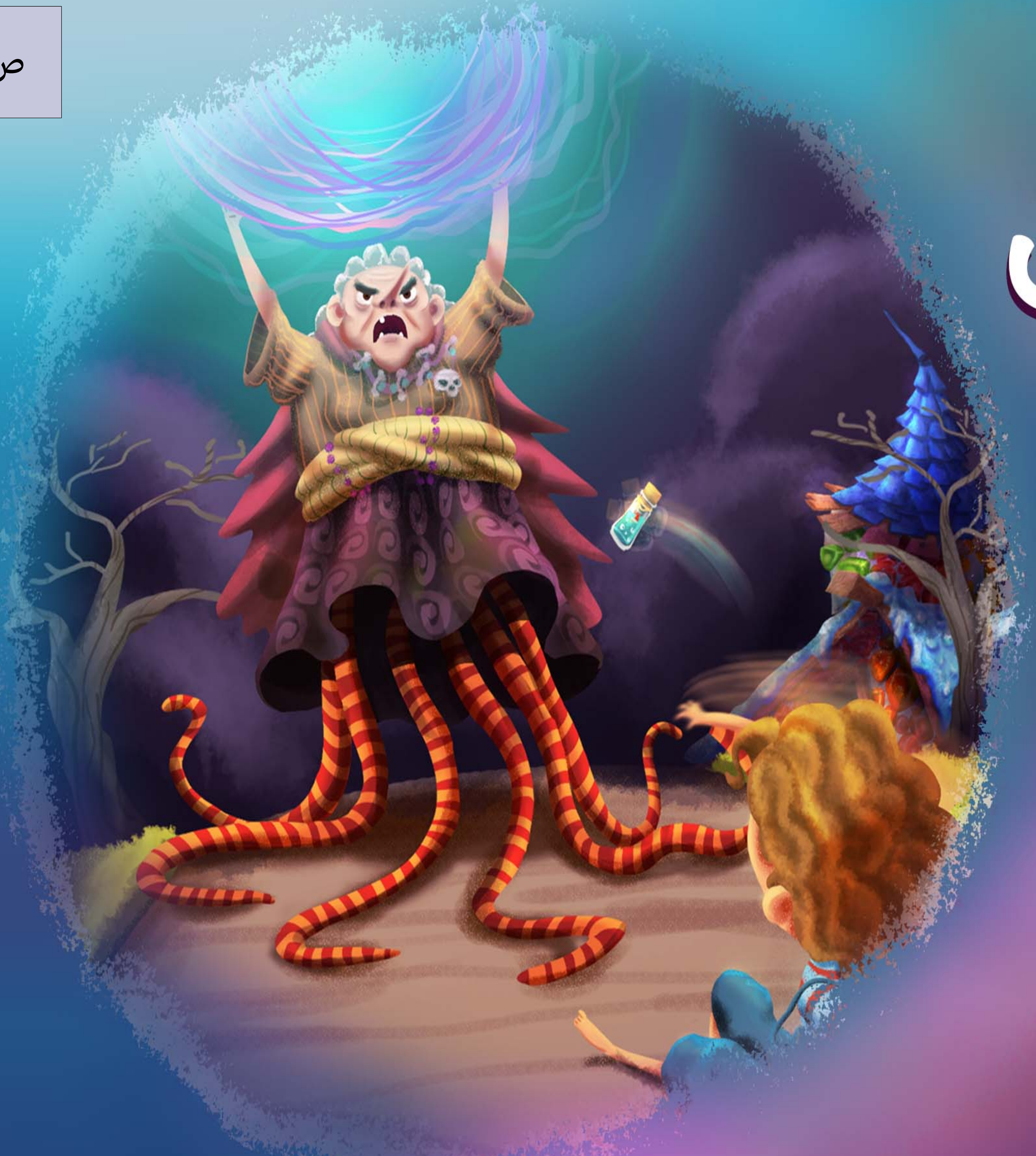
ص

ذاتُ الكَعْبِ الحَجَرِيِّ



قصة: ميشيل حنّا
رسوم: جلال أحمد



لَـولا شَـقاوةُ لينـا وَحُبُّهـا لِلمَقالـبِ لَـما حَدثَـتْ لَهـا كل هـذه الأَحْـداثِ الجَسـيمَةِ! لينـا فتـاةٌ صغـيرةٌ. كَـم يَبلُـغُ عُمـرُ لينـا؟ لا أَحـدَ يَعـرفُ بالضَّبـطِ! فَفـي القَريَـةِ التـي وُلِـدَتْ وَعاشَـت فيهـا لينـا لا يَهتـمُّ أَحـدٌ بِتَسـجيلِ المَواليـدِ وإِصـدارِ شَـهاداتِ ميـلادٍ لَهُـمْ. إنَّ لينـا صَغـيرةُ السِّـنِّ وهـذا يَكفـي. هـل مـا زِلْـتَ تُـصرُّ عـلى مَعرِفَـةِ سِـنّها الحَقيقـيِّ؟ حَسـنًا، إِنّهـا في مِثـلِ عُمُـرِكَ بالضَّبـطِ! دَعنـا الآنَ مِـنْ هـذِهِ المُشـكِلَةِ، ودَعنـا نتأمـلْ غابـاتِ الصَّنوْبَـرِ الجَميلَـةَ هـذِهِ، والأَكـواخَ الخَشَـبيَّةَ، والنَّهـرَ الصَّغـيرَ الـذي يَمُـرُّ بِجانِـبِ الطاحونَـةِ القَديمَـةِ، والجَبَـلَ الأَصفَـرَ الضَّخـمَ الـذي يُطِـلُّ عـلى القَريَـةِ، والخِـرافَ الصَّغـيرَةَ التـي تَرعـى عَـلى الجَبـلِ، وأَهْـلَ القَريَـةِ لَطيفـي المَعْشَرِ. هـذا هـوَ العالَـمُ الّـذي تَـدورُ فيـهِ قِصَّتُنـا، وهـو مَـكانٌ مِثـاليٌّ للأَحْـداثِ العَجيبَـةِ التـي سَـتَحدُثُ بعـدَ قَليـلٍ. لَقَـدْ سَـئِمَ الجَميـعُ مِـنْ لينـا؛ إِنَّهـا لَطِفْلَـةٌ مُزعِجَـةٌ حقًّـا. ومُنـذُ المَقلَـبِ الأَخيرِ الَّـذي دَبّرَتْـهُ لِعمَّتِهـا، كَفَّـتِ الأَخيرَةُ عَـنِ العِنايَةِ بِها، وكَفَّتْ عَنْ سُؤالِها أينَ تَذهَبُ ومِنْ أينَ تَأْتي.

لينا تَسكُنُ مَعَ عَمَّتِها الّتي تَعيشُ وَحدَها في أطرافِ القَريَةِ قريبًا مِنَ الجَبلِ حيثُ لا يَسكُنُ أحَدٌ، وقَدْ وجَدَ والِداها أَنَّ انْتِقالَها لِلعَيشِ هُناكَ هو الحلُّ الأَمثَلُ بَعدَ أَنْ أَزعَجَتْ لينا بِمَقالِبِها القَريَةَ كُلَّها، ولَمْ يَعُد هُناكَ أَحدٌ يَستَطيعُ تَحمُّلَها!

ومَعَ ذلكَ، لَمْ تَكُنْ العَمَّةُ العَجوزُ تَسْلَمُ مِنَ المَقالِبِ اليَوْمِيَّةِ؛ فذاتَ مَرَّةٍ غافَلَتْ لينا عمَّتَها وهِيَ تَنْشُرُ المَلابِسَ المَغْسولَةَ على الحِبالِ وربطَتْ تَنورَتَها بِحَبْلِ الغَسيلِ. وهكذا، عندما تَحَرَّكَتِ العَمَّةُ لِلانْصِرافِ، جَذَبَتِ التَّنورَةُ الحبْلَ وسَقَطَ الغَسيلُ في الطّينِ. كانَتْ لينا مُنْهَمِكَةً في الضَّحِكِ، لكنّ العَمَّةَ فاضَ بها الكَيْلُ، ولمْ تَعُدْ لَدَيْها قُدْرَةٌ على التَّحمُّلِ، خاصَّةً أنّها شَرِبَتِ المَقْلَبَ نَفْسَهُ سِتَّ مَرّاتٍ مِنْ قَبلُ! فَكَّرَتِ العَمَّةُ كثيرًا في طَريقَةٍ تُرْسِلُ بها هذه المُصيبَةَ المُسَمّاةَ لينا إلى والِدَيْها، لكِنَّهُما كانا يَسْكُنانِ بَعيدًا جِدًّا. لذا كانَ علَيْها التَّحمُّلُ والِانْتِظارُ إلى أنْ يأتِيَ أحدُهما، لكِنَّها قرَّرَتْ مُقاطَعَتَها وعدَمَ الكلامِ معَها علَّها تَتَّعِظُ.

لكنْ دَعْنا نعترِفْ بِشَيْءٍ صَغيرٍ: رُغْمَ كُلِّ عُيوبِ لينا، إلّا إنَّها فتاةٌ ذكيَّةٌ جِدًّا، وتَتَمَتَّعُ بِشجاعَةٍ وجُرْأَةٍ تُمَيِّزُها عنْ أتْرابِها منَ السِّنِّ نَفْسِها، تلكَ السِّنُّ التي تَحَدَّثْنا عنْها منذُ قليلٍ. ورُبَّما كانتْ هذه الصِّفاتُ التي تَمَيَّزَتْ بها لينا، والتي لا تَتَناسَبُ وَبيئَتَها القَرَوِيَّةَ الهادِئَةَ، هي التي كانتْ تَدْفَعُها إلى ابْتِكارِ المَقالِبِ والمُضايقاتِ.

ولينا أيْضًا كانتْ قدْ سَئِمَتْ منْ مُضايَقَةِ عَمَّتِها، وقد أحْزَنَها كثيرًا أنَّهُما تَسْكُنانِ في هذا المَكانِ المَهْجورِ البَعيدِ عنِ النّاسِ، حيثُ لا يُوْجَدُ أحَدٌ آخَرُ يُمْكِنُ أنْ تُدَبِّر لَهُ بعْضَ المَقالِبِ، لهذا فرِحَتْ كثيرًا عندما عثَرَتْ على الكوخِ الأَزْرَقِ.

ورُغْمَ أنَّ العَمَّةَ كانتْ قدْ حذَّرَتْ لينا كَثيرًا منْ قَبْلُ منَ التَّجَوُّلِ وَحْدَها في الجبلِ، إلّا إنَّها انْتَهَزَتْ فُرْصَةَ مُقاطَعَةِ العمَّةِ لها وجالَتْ بِضْعَ جَوْلاتٍ صَغيرَةٍ، اِتَّسَعَتْ بعدَ ذلك لِتُصْبِحَ جَوْلاتٍ كبيرَةً، حتّى عثَرَتْ أخيرًا على الكوخِ والمَرْأةِ غَريبَةِ الشَّكْلِ، ذاتِ الأنْفِ المُدَبَّبِ والعَباءَةِ القِرْمِزِيَّةِ، التي تَسْكُنُ فيه.



فَرِحَتْ لينا كثيراً باكْتِشافِها، إذْ عَثَرَتْ أخيراً على شَخْصٍ جَديدٍ تُدَبِّرُ لهُ بعضَ المَقالِبِ. "بعضَ المَقالِبِ؟ لا! لنْ أسْتَطيعَ أنْ أُدَبِّرَ سِوى مَقْلَبٍ واحِدٍ قَبْلَ أنْ تَتَنَبَّهَ إلَيَّ وتَأْخُذَ حِذْرَها، لهذا يَجِبُ أنْ يكونَ مَقْلَبًا كبيراً ورَهيبًا!" هكذا فكَّرَتْ لينا، ثمّ ضَحِكَتْ في جَذَلٍ!

كانتْ لينا تعْرِفُ كيفَ تُدَبِّرُ المَقالِبَ، تعْرِفُ كيفَ تجْعَلُ المَقْلَبَ يَبْدو لطيفًا أو مُضْحِكًا أو مُؤْلِمًا، ما لمْ تعْرِفْهُ لينا أنَّ هذا الكوخَ هو منْزِلُ "هيلا لولا"؛ السّاحِرَةُ ذاتُ السِّتِّ أرْجُلٍ.

الكُوخُ الأَزْرَقُ

لـو رأتْ لينـا الوَهْجَ الأزْرَقَ الـذي يَنْبَعِـثُ مـنَ الكـوخِ في الليـلِ، والغُـرابَ الأخـضرَ الـذي يـأتي لِيبيـتَ عنْـدَ نافِذَتِـهِ العُلْوِيَّـةِ، لَعَدَلَـتْ عـنْ خُطَطِهـا لِمُضايَقَـةِ السّـاحِرَةِ. لكـنَّ لينـا لمْ تكُـنْ تعْـرِفُ شَـيْئًا عـنْ هـذا، وإلّا لَـما تَسَنّى لنا أنْ نقْرَأَ هذه القِصَّةَ!

في ذلـك الصَّبـاحِ، خَرَجَـتِ السّـاحِرَةُ كَعادَتِهـا كَيْ تُحْـضِرَ المـاءَ مـنَ البـئرِ القَريـبِ مـنَ الكـوخِ. إنَّ السّـاحِرَةَ تُمـارِسُ أعْمالَهـا المُريبَـةَ طيلَـةَ الليـل، وفي الصَّباحِ تَخْرُجُ لِإحْضارِ المَزيـدِ مـنْ مـاءِ البِئرِ لِأنَّهـا تحتـاجُ إلى غَـلْيِ كَمِّيـاتٍ كَبيرَةٍ مـنَ المِيـاهِ في قِـدْرٍ ضَخْمَـةٍ طَـوالَ الليـلِ، وكُلُّ السّـاحِراتِ يَغْلِـينَ المـاءَ لِسَـبَبٍ أو لِآخَـرَ، ولا أحَـدَ،في الحَقيقَـةِ، يَعْـرِفُ مـاذا يَفعَلْـنَ بِـكلِّ هـذه المِيـاهِ المغلِيَّـةِ! بعْـدَ ذلـك تَعـودُ السّـاحِرَةُ إلى الكـوخِ لِتُعَبِّـئَ القُـدورَ، ثـمَّ تَخْلُـدُ إلى النَّومِ إلى أنْ يَطْلُعَ القمَرُ مَرّةً أُخْرى!

هذه المَرَّةَ كانتْ لينا مُختَبِئَةً بيْنَ الشُّجَيْراتِ القَريبَةِ لِتُراقِبَ.

تعَجَّبَـتْ لينـا لأنَّ المِنْطَقَـةَ المُحيطَـةَ بالكـوخِ لمْ يكُـنْ يقـتَرِبُ منْهـا أيٌّ مـنْ حيَوانـاتِ الغابَـةِ، كـما أنَّ الأشْـجارَ القريبَـةَ جَميعَهـا خالِيَـةٌ مـنَ الطُّيـورِ! كانـتْ جُـدرانُ الكـوخِ غـيْرَ مُنْتَظمَـةِ الشَّـكلِ، وتُشْـبِهُ حَلْـوى الهُـلامِ الأزْرَقِ، بَيْنَما يتَصاعَدُ البُخارُ الأبْيَضُ منْ نوافِذِهِ طَوالَ الوَقْتِ!

خرَجَـتِ السّـاحِرَةُ مـنْ بـابِ الكـوخِ، الـذي كان يتَلَـوّى في يَدِهـا كَقِطْعَـةٍ مـنَ الهُـلامِ، ومَعَهـا القِـدْرُ مُتَّجِهَـةً إلى البِـئرِ. دائمًـا مـا تَرْتَـدي السّـاحِرَةُ تَنّـورَةً واسِـعَةً فـلا يُلاحِـظُ أحَـدٌ أنَّ لهـا مـنَ الأرْجُـلِ أرْبَعًـا إضافِيَّـةً! ألْقَـتِ السّـاحرةُ الدَّلْـوَ في البـئرِ ثُـمّ جذَبَـتِ الحَبْـلَ، فخَـرَجَ الدَّلْـوُ مَليئًـا بِرَغـاوى الصّابـونِ! دُهِشَـتِ السّـاحرةُ وتراجَعَـتْ إلى الخَلْـفِ، فانْزَلَقَـتْ قَـدَمٌ لهـا بِقِطْعَـةِ صابُـونٍ وسَـقَطَتْ عـلى الأرْضِ، وانْحَـشَرَ رأْسُـها في الدَّلْـوِ المَـليءِ بالرَّغـاوى! هنـا خرَجَـتْ لينـا مـنْ بـيْنِ الشُّـجَيْراتِ وهِـيَ تضْحَـكُ مُقَهْقِهَـةً، لكِنَّهـا توَقَّفَـتْ عـنِ الضَّحِـكِ وشَـهِقَتْ مـنَ الفـزَعِ عنْدَمـا رأتِ الأرْجُـلَ السِّـتَّةَ لِلسـاحرةِ، والتـي طالما دأَبَتْ على إخْفائها!



أخْرَجَـتِ السّـاحرةُ رأْسَـها مـنَ الدَّلْـوِ ونظَـرَتْ إلى لينا بعيْنَـيْنِ حمْراوَيْـنِ كالـدَّمِ مـنْ أثَـرِ الصّابـونِ. صرَخَـتْ لينـا وأرادَتْ أنْ تجْـرِيَ لكِـنَّ قدَمَيْهـا تسَمَّرَتا خَوْفًا.

رأَتْ لينـا الدُّخـانَ الأزْرَقَ يتَصاعَـدُ مـنْ رأْسِ السّـاحرةِ التـي ارْتكَـزَتْ عـلى ثـلاثِ سيقانٍ، وأخَـذَتْ تُلَـوِّحُ بِسـاقَيْنِ أُخْرَيَـيْنِ، بيْنَـما أخَـذَتْ تهْـرُشُ ظَهْرَهـا بالسّـاقِ السّادِسَـةِ! فتَحَـتِ السّـاحرةُ فَمَهـا، فَخَرَجَـتْ منـهُ رَغـاوى الصّابـونِ التـي سـالَتْ عـلى ذِقْنِهـا وصَدْرِهـا، ثُـمّ صاحَـتْ بِصَـوْتٍ غريـبٍ جـدًّا، بيْنَـما الفَقاقيـعُ الصَّغـيرةُ تتَصاعَـدُ مـنْ فَمِهـا إلى الهَـواءِ: آاااانْـتِ أاااقْلَقْـتِ رااااحَتي آاااايَّتُها الفَتااااةُ المُزْعِجاااا.

لمْ تفْهَـمْ لينـا شـيْئًا، لكِـنَّ مِـمّا لا شَـكَّ فيـهِ أنَّ السّـاحرةَ غاضِبَـةٌ جـدًّا. بعْـدَ قَليلٍ تلاشَتِ الرَّغاوى فبَدَأَتْ لينا تفهَمُ:

"مـنْ هُـوَ ذا الكائـنُ البَشَـرِيُّ الـذي يجْـرُؤ عـلى التَّعَـدّي عـلى ساكِنَـةِ الكـوخِ الأزرقِ؟

أنا هِيلا لولا؛ صانِعَةُ التَّعاويذِ، التي تسيرُ فوقَ ماءِ النَّهْرِ، وتنامُ وَسْطَ السَّحابِ الأزرقِ! التي تنْشُرُ السُّكونَ أينَما ذهبَتْ، وتزرَعُ الصَّمْتَ أينَما سكنَتْ! هذا الذي يُقْلِقُ سيِّدَةَ الجبلِ وقْتَ تَهَيُّئِها لنَوْمِ النَّهارِ، فَلْتَحِلَّ لَعْنَةُ الضَّوْضاءِ على رأْسِهِ، ولْتُلاحِقْهُ أينَما مَضى. اِهْبِطي يا لعنَةَ الضَّوْضاءِ وأقْلِقي حَياةَ المُتطَفِّلِ!". أنْهَتِ السّاحرةُ تِلاوَةَ لعنَتِها واتَّجَهَتْ إلى مَنْزِلِها. دخلَتِ الكوخَ وصفَقَتِ البابَ الأزرقَ وَراءَها. نعَقَ الغُرابُ الأخضرُ الذي يجلِسُ على النّافذةِ وطارَ بَعيدًا، ثُمّ سادَ صمْتٌ مَهيبٌ في أرْجاءِ الغابةِ. كانتْ لينا ترْتَجِفُ منَ الخَوْفِ، ولمْ تُصدِّقْ أنَّ السّاحرةَ عادتْ إلى مَنْزِلِها بهذه السُّهولةِ. أخذَتْ لينا تنْظُر إلى نفْسِها واطْمَأَنَّتْ إلى أنَّها لمْ تتحَوَّلْ إلى بقَرَةٍ صغيرةٍ أو خُنْفُساءَ سَوْداءَ ذاتِ قَرْنَيِّ اسْتِشْعارٍ.

تنَفَّسَتِ الصُّعَداءَ سعيدةً وجرَتْ إلى المنْزلِ. تِكْ تَكْ! تِكْ تَكْ!

توَقَّفَتْ لينا عنِ الجَرْيِ، وتلَفَّتَتْ حوْلَها لِترَى مِنْ أينَ يأتي هذا الصَّوتُ! توقَّفَ الصَّوْتُ مُجرَّدَ أنْ توَقَّفَتْ عنِ الجَرْيِ.

لمْ ترَ شيئًا فاسْتَأْنَفَتِ الرَّكْضَ:

تِكْ تَكْ! تِكْ تَكْ!

الصَّوتُ مَرَّةً أُخرى!

قرَّرَتْ أنْ تجْرِيَ أسْرَعَ:

تِكْ تَكْ! تِكْ تَكْ! تِكْ تَكْ! تِكْ تَكْ! تِكْ تَكْ! تِكْ تَكْ!

اِرْتَمَتْ لينا على الأرضِ فتَوَقَّفَ الصَّوتُ. هناك شيءٌ ما ليسَ على ما يُرامُ؛ شيءٌ غريبٌ، شيءٌ مُرْعِبٌ!

تِكْ تَكْ! تِكْ تَكْ!

لاحَظَتْ أنَّ الصَّوتَ يتَزامَنُ معَ خُطُواتِها. نظَرَتْ لينا إلى قَدَمَيْها فلاحظَتْ أنَّ كعْبَيْها قدِ اتَّخَذا لوْنًا رمادِيًّا؛ ظَنَّتْ أنَّهُما اتَّسَخا مِنْ تُرابِ الغابةِ. مدَّتْ يَدَها تتَحَسَّسُهُما فوَجَدَتْهُما صَلْبَيْنِ مِثْلَ قِطْعَتَيْنِ منَ الحَجَرِ؛ إنَّهُ أمْرٌ لا يُصدَّقُ، لَقَدْ أصْبَحَ كعْباها حَجَرَيْنِ فِعْلًا!



ذاتُ الكَعْبِ الحَجَرِيِّ

قالتْ لَها عمَّتُها عنْدَما رأتْها تبْكي: "لا تَبْكي!".

لكـنَّ لينـا انْفَجَـرَتْ أكـثَرَ بالبُـكاءِ والعَويـلِ، وأمْسَـكَتْ بِصابونَـةٍ وأخَـذَتْ تغْسِـلُ قدَمَيْها مِـرارًا علَّهُـما ترْجِعـانِ طبيعِيَّتَـيْنِ. قالـتْ لَهـا عمَّتُهـا عنْدَمـا رأتْهـا تُعيـدُ غسْـلَ قدَمَيْهـا: "لا تُعيـدي غسْـلَهُما!". لكـنَّ لينـا اسْـتَمَرَّتْ تفْعَـلُ. "لـنْ يكـونَ هـذا ذا فائـدَةٍ"، كَـذا قالـتِ العمَّـةُ العَجـوزُ، وترَكَتْها تبكي إلى أنْ هدَأَتْ. "أنا جائعَةٌ" قالتْ لينا واتَّجهَتْ إلى المَطْبَخِ.

تِكْ تَكْ! تِكْ تَكْ!

عـادَ الصَّـوتُ مـعَ خُطُواتِهـا فعـادَتْ إلى البُـكاءِ. حتّـى الصَّـنْـدَلُ الجِلْـدِيُّ السَّميكُ الذي ترْتَديهِ لمْ يُفْلِحْ في تخْفيفِ الصَّوْتِ.

قالـتِ العمَّـةُ: "هـذه هـي لعنـةُ السّـاحرةِ التـي ألْقَتْهـا علَيْـك؛ فكَـما أزْعَجْتِها بَعْدَما كانـتْ تسْـكُنُ في هُـدوءٍ، حكَمَـتْ علَيْـكِ اللعنَـةُ أنْ تنْزَعِجـي بهذا الصَّوْتِ أيْنَما ذهَبْتِ".

رُغْمَ المَأْزِقِ المُحْزِنِ الذي وقعَتْ فيهِ لينا، إلّا إنَّ السّعادَةَ كانتْ بادِيَةً على عمَّتِها لِلعِقابِ الذي حَلَّ بِها، وهي التي لمْ يسْلَمْ أحَدٌ منْ مَقالِبِها السَّخيفَةِ. بلْ إنَّها أطْلَقَتْ عليْها، ضاحِكَةً، لَقَبَ ذاتِ الكَعْبِ الحَجَرِيِّ!

هرَشَتِ العمَّةُ رأْسَها وقالتْ: "لقدْ ذكَّرْتِني بقِصَّةِ كعْبِ أَخِيلَ. كان أَخِيلُ ولَدًا ضَعيفَ الجَسَدِ فغَمَرَتْهُ أمّهُ في نَهْرِ اسْتِكْسَ المُقَدَّسِ لِيَكْتَسِبَ جسَدُهُ مَناعَةً ضِدَّ كُلِّ الأسْلِحَةِ، فلا تُؤَثِّرُ فيهِ السِّهامُ ولا السُّيوفُ، لكنَّ أمَّهُ إذْ غمَرَتْهُ في النَّهرِ كانتْ تُمْسِكُهُ منْ كعْبِهِ، لِهذا لمْ يَمَسَّ كعْبُهُ المِياهَ المُقَدَّسَةَ، فصارَ الجُزْءَ الوَحيدَ غيرَ المَنيعِ في جسَدِهِ. وهكذا اسْتَطاعَ خَصْمُهُ باريسُ أنْ يَقْتُلَهُ بِسَهْمٍ مَسْمومٍ صَوَّبَهُ إلى كعبِهِ. لقَدْ كان كعبُ أَخِيلَ نُقْطَةَ ضَعْفِهِ، أمّا كعبُ لينا فسَيُصْبِحُ مَصْدَرَ قُوَّتِها!". ضحِكَتِ العمَّةُ قليلًا، إلا أنها ما لَبِثَتْ أنْ أدْرَكَتْ خُطورَةَ المَوْقِفِ، ثُمّ بدَأَتْ تَقْلَقُ عنْدَما مضَتْ عدَّةُ ساعاتٍ دونَ أنْ يتحَسَّنَ الأمْرُ، أوْ تَعُودَ لينا إلى طَبيعَتِها، فضْلًا عنْ أنَّ ذلك الصَّوتَ السَّخيفَ المُتَواصِلَ أصبَحَ مصْدَرَ إزْعاجٍ آخَرَ لَها.

قالتِ العمَّةُ: "لا تَقْلَقي، سَأتَوَلّى الأمْرَ". رفعَتِ العمَّةُ مَرْتَبَةَ السَّريرِ الإسْفَنْجِيَّةَ وأخَذَتْ تقُصُّها بالمِقَصِّ إلى مُكَعَّباتٍ مُتَوسِّطَةِ الحَجْمِ، ثُمّ ربَطَتْها معًا وخاطَتْها بِحِذاءِ لينا. ارْتَدَتْ لينا الحِذاءَ فوَجَدَتْ أنَّها ارْتَفَعَتْ عنِ الأرضِ بِمِقدارِ نصْفِ مترٍ! تحَرَّكَتْ لينا في المَكانِ و:

تِكْ تَكْ! تِكْ تَكْ!

لا فائِدَةَ! وعادَتْ الفَتاةُ إلى البُكاءِ.

قالتْ لها عمَّتُها عنْدَما رأتْها تبْكي: "لا تبْكي!"، ثُمّ أحضَرَتِ المَزيدَ منَ المُكَعَّباتِ الإسْفَنْجيَّةِ ورَبَطَتْها معًا وخاطَتْها بحِذاءِ لينا. أعْطَتِ الحِذاءَ لِلينا التي ارْتَدَتْهُ فوَجَدَتْ أنَّها ارْتَفَعَتْ عنِ الأرْضِ بِمِقْدارِ مترٍ كامِلٍ فأصْبَحَتْ أطْوَلَ منْ عمَّتِها! حرَّكَتْ لينا قدَمَيْها و: تِكْ تَكْ! تِكْ تَكْ!

لقَدِ انْخَفَضَ الصَّوتُ قليلًا، لكنْ ليسَ بالقَدرِ الكافي. كادَتْ أنْ تَعُودَ ثانِيَةً إلى البُكاءِ، لكنَّ عمَّتَها قالت لها عندما رأتها وهي تكاد تشرع في البكاء: "لا تَبْكي!"، ثُمّ أحْضَرَتِ المَزيدَ منَ المُكَعَّباتِ الإسْفَنجيَّةِ ورَبَطَتْها معًا، وخاطَتْها بِحِذاءِ ابْنَةِ أَخيها، وعنْدَما ارْتَدَتِ الحِذاءَ هذه المَرَّةَ وجَدَتْ أنَّ ارْتِفاعَهُ أصبَحَ مِتْرينِ كامِلَيْنِ، فاضْطُرَّتْ إلى الاِسْتِعانَةِ بِعمَّتِها حتّى تسْتَطيعَ الوُقوفَ! ثُمّ:

تِكْ تَكْ! تِكْ تَكْ!

لقَدِ انْخَفَضَتْ حِدَّةُ الصَّوتِ كثيراً حتّى تَكادُ تكونُ غيْرَ ملْحُوظَةٍ. لكنَّ لينا صارتْ أشْبَهَ بالعِمْلاقِ وهِي تَسيرُ بهذا الحِذاءِ العَجيبِ!

"واهًا!"، هكذا هَتَفَتْ لينا، "إذنْ هذا هو المَكانُ الذي كنْتِ تُخْفينَ فيه الحَلْوى!"؛ إنَّ لينا تَسْتَطيعُ الآنَ، بِطُولِها الجَديدِ، أنْ ترى ما فوقَ الدَّواليبِ والخَزائِنِ مَهْما كان ارْتِفاعُها. شعَرَتْ لينا بِبَعْضِ السَّعادَةِ، لكنَّها ما لبِثَتْ أنْ تَحَرَّكَتْ: تِكْ تَكْ! تِكْ تَكْ!

تذَكَّرَتْ مَآلَ حالِها، فشَرَعَتْ في البُكاءِ ثانيَةً. قالتْ لها عمَّتُها عنْدَما رأَتْها تبْكي: "لا تَبْكي!".



نَصيحَةٌ مِنَ التِّنّينِ!

في السّاعاتِ القَليلَةِ التّالِيَةِ، اضْطُرَّتِ العمَّةُ إلى إضافَةِ المَزيدِ والمَزيدِ من الإسْفَنْجِ إلى حِذاءِ لينا، حتّى وصَلَ طُولُها إلى ثَلاثَةِ أمْتارٍ! والسَّبَبُ في ذلكَ أنَّهُ كُلَّما ظنَّتا أنَّهُما تخَلَّصَتا مِنَ الصَّوتِ بإضافَةِ قِطَعِ الإسْفَنْجِ، كان يعُودُ دائمًا بعْدَ مُضِيِّ بعْضِ الوَقتِ! يئِسَتِ العمَّةُ وقدْ بَدا لها أنَّ هذه المُشْكِلَةَ بِلا حَلٍّ، وفكَّرَتْ أنَّهُ رُبَّما كان مِنَ المُناسِبِ أنْ تذْهَبَ لينا للاعْتِذارِ مِنَ السّاحِرَةِ عنْدَما تسْتَيْقِظُ في الليلِ. لكنَّ لينا كانتْ تعرِفُ أنَّ السّاحِرَةَ إنْ رأتْها مرَّةً أُخْرى فإنَّ أقَلَّ شيءٍ ستَفْعَلُهُ هو أنْ تُحَوِّلَها إلى حشَرَةٍ بِستِّ أرْجُلٍ. جلسَتْ لينا على الدُّولابِ، الذي أصبَحَ مُناسِبًا الآن لِطُولِها بدَلًا مِنَ الكُرْسِيِّ العادِيِّ، وأخَذَتْ تُفَكِّرُ؛ لمْ تعْرِفْ لينا ما تفْعَلُهُ، وقدْ بَدا أنَّ كُلَّ الطُّرُقِ مسْدودَةٌ. وبَدَأَ اليَأْسُ يتَسَرَّبُ إلى نفْسِها. كان هذا قبْلَ أنْ يصِلَ التِّنّينُ! "أنا جُوجُماجُ المُلَقَّبُ بالتِّنّينِ، وأنا لا أحْتَمِلُ أنْ أرى دُموعَ فتاةٍ صغيرَةٍ!"

بِهذا بدأ كلامَه القَزَمُ الذي خرَجَ فَجْأَةً مِنْ أسْفَلِ السَّريرِ ثُمَّ قفَزَ فوقَ الطاوِلَةِ!

صرَخَتْ لينا، وقفَزَتْ العمَّةُ على الكُرْسِيِّ مِنَ الفَزَعِ عنْدَما رأَتا ذلك القزمَ الذي ظهَرَ منَ اللامَكانِ!

قالَ القزَمُ: "لا تقْلَقا، فلَمْ آتِ إلّا لتَقْديمِ العَوْنِ. فأنا، كما قُلْتُ آنِفًا، لا أحْتَمِلُ أنْ أرى دُموعَ فتاةٍ صغيرَةٍ! يعْرِفونَني في الغابَةِ بِاسْمِ التِّنّينِ، وأصْدِقائي يُنادونَني تِينُو! لماذا سُمّيتُ بالتِّنّينِ؟ لأنَّني، بِبَساطَةٍ، قَصيرٌ جدًّا مِثْلُ التِّنّينِ تمامًا!".

أرادَتْ لينا أنْ تقولَ إنَّ التِّنّينَ ليس قصيرًا هكذا، بلْ هو كائنٌ ضخْمٌ جدًّا، إلا أنَّها آثرَتِ السُّكوتَ. الشيءُ الوحيدُ الذي كانتْ مُتَأَكِّدَةً منه هو أنَّ هذا التِّنّينَ لا يُشْبِهُ أيَّ تِنّينٍ على الإطْلاقِ!

أخْرَجَ التِّنّينُ مِنْ جَيْبِ عَباءَتِهِ مِقْلاعًا صَغيرًا ووضع فيه شيئًا صَغيرًا مُسْتَديرًا يُشْبِهُ الحَجَرَ.

"وأنْتُما تعْرِفانِ أنَّ التِّنّينَ يكرَهُ الجَواسيسَ"، وأطْلَقَ الحَجَرَ تُجاهَ النّافذةِ فانْطلَقَتْ صَرْخَةٌ رَفيعَةٌ غَريبةٌ، وطارَ الغُرابُ الأخضرُ بَعيدًا. لقَدْ كان الغُرابُ الأخضرُ يتَجَسَّسُ لِحِسابِ السّاحرةِ!

بدأتِ العمَّةُ ولينا تطْمَئِنّانِ أخيرًا إلى التِّنّينِ، وقدْ أدْرَكَتا أنَّهُ ليس أمامَهُما منْ سَبيلٍ إلى الخَلاصِ منْ هذه الوَرْطَةِ سِوى الِاسْتِعانةِ به.

"التِّنّينُ هو الوحيدُ الذي يسْتَطيعُ مُساعَدَتَكِ لِلخَلاصِ منْ لعنةِ السّاحرةِ، لكنْ، إنِ اتَّبَعْتِ إرْشاداتِه"، قال هذا والْتَفَتَ إلى أعْلى لِيَسْتَطيعَ النَّظَرَ إلى وجهِ لينا الذي كان قريبًا منَ السَّقْفِ!

سألتْ لينا: "وكيف عرَفْتَ أنَّني في وَرْطَةٍ؟".

قال التِّنّينُ:" ألَمْ أقُلْ لك؟ أنا لا أحْتَمِلُ أنْ أرى دُموعَ فتاةٍ صغيرةٍ!".



هَلْ تَقْدِرِينَ؟

يُمْكِنُنا الآنَ أَنْ نُعيدَ تقْييمَ المَوْقِفِ في ضَوْءِ التَّطَوُّراتِ الجَديدَةِ: إنَّ التِّنّينَ لا يسْتَطيعُ أنْ يُساعِدَ لينا بِطَريقَةٍ مُباشَرَةٍ، لكِنَّهُ يسْتَطيعُ أنْ يُبْدِيَ النُّصْحَ والإرْشادَ. التِّنّينُ يَعرِفُ الكثيرَ، فعُمُرُهُ يَزيدُ عنِ المِائَةِ عامٍ! وهُو الخَصْمُ الطَّبيعِيُّ لِلسّاحِرَةِ الشِّرّيرَةِ، وهُو الذي لَطالَما ساعَدَ الأبْرِياءَ مِنْ ضَحايا سِحْرِها. إلّا أنَّ لهُ عَيْبَيْنِ صَغيرَيْنِ: إنَّهُ رِعْديدٌ ولا يَجْرُؤُ على مُواجَهَةِ السّاحرةِ، لذلك يَكْتَفي بالنُّصْحِ، وهُو كذلك يَخْتَبِئُ دائمًا أسْفَلَ المَقاعِدِ والطّاوِلاتِ. قالَ التِّنّينُ: "مُنْذُ أرْبَعمِائَةِ عامٍ، كانتْ هذه الغابةُ والجَبَلُ القَريبُ منْها مَكانًا لسُكْنى قَبائلَ عَديدَةٍ منَ السَّحَرَةِ الأشْرارِ، الذين كانوا يُمارِسونَ طُقوسَهُمْ فوقَ الجَبَلِ. سُمِّيَ هذا الجبَلُ فيما بَعْدُ بِالجَبَلِ الأصفرِ، لأنَّ لونَهُ صارَ يميلُ إلى الاِصْفِرارِ بعْدَ أنْ أخْطَأَتْ إحْدى السّاحِراتِ، في أثْناءِ صُنْعِ تَعْويذَةٍ ما، فَتَحَوَّلَ جُزْءٌ كَبيرٌ مِنْ حِجارَةِ الجبَلِ إلى نوْعٍ منْ أنْواعِ الجُبْنِ الرّوميِّ!

لِهذا، وَكَما تعْرِفينَ، فإنَّ سُكّانَ القرْيَةِ يَتَشاءَمونَ دَوْمًا مِنْ هذا الجبَلِ الذي كانَ مَسْرَحًا لِلعَديدِ منَ الأفْعالِ السِّحْرِيَّةِ والتَّجارِبِ الغَريبَةِ. ولابُدَّ أنَّكِ تتَذَكَّرينَ كَمْ مرَّةً حذَّرَكِ أبَواكِ منَ الاِقْتِرابِ منَ الجبَلِ، رُغْمَ أنَّهُ لمْ يعُدْ خَطيرًا جدًّا كما كانَ في الماضي، والفَضْلُ في ذلك يَرْجِعُ طبْعًا إلى التِّنّينِ وإخْوَتِهِ؛ فنَحْنُ منْ قَبيلَةٍ خاصَّةٍ أخَذَتْ على عاتِقِها تخْليصَ الغابةِ منَ السَّحَرَةِ.

وعلى مَدى أرْبَعمِائَةِ عامٍ، نَجَحْنا في ذلك إلى حَدٍّ كَبيرٍ، فلَمْ يَبْقَ في المِنْطَقَةِ سِوى السّاحرةِ ذاتِ السِّتِّ أرْجُلٍ التي قابَلْتِها، وساحرةٍ أُخْرى تسْكُنُ في الجانِبِ الآخَرِ منَ الجبَلِ".

"مَنْ هو التِّنّينُ الذي يُحَدِّثُكِ الآن؟ أنا المُكَلَّفُ منْ قِبَلِ إخْوَتي في القَبيلَةِ بِمُراقَبَةِ السّاحرةِ ذاتِ السِّتِّ أرجُلٍ، وبِمُساعَدَةِ كلِّ منْ يقَعُ في حِبالِ شَرِّها. لهذا، منَ واجِبي أنْ أصْنَعَ لكِ التَّعْويذَةَ المُضادَّةَ التي تساعِدُكِ على العَوْدَةِ إلى طَبيعَتِكِ.

لكنْ منْ سوءِ حظِّكِ أنَّ التَّعْويذَةَ المُضادَّةَ للسِّحْرِ الذي أصابَكِ مُعَقَّدَةٌ جدًّا ويَحْتاجُ تَحْضيرُها إلى عَدَدٍ منَ الخاماتِ التي لا تُوجَدُ إلّا في الجبلِ، بينَما شَجاعَتي لا تَسْمَحُ لي بالصُّعودِ إلى هناكَ!".

هتفَتْ لينا: "لماذا؟ أَلَمْ تقُلْ إنَّ الجبلَ لَمْ يعُدْ خَطِرًا كما في الماضي، وإنَّ السَّحَرَةَ قدْ ترَكُوهُ؟".

"هي هي هي هووووف!"، ضَحِكَ التِّنّينُ، فَسَقَطَتْ إحدى أسْنانِهِ الأمامِيَّةِ، "أنتِ لا تعْرِفينَ شيئًا عمّا يُوجَدُ على الجبلِ، إنَّها نَتائِجُ مئاتِ الأعوامِ منَ المُمارَساتِ السِّحْرِيَّةِ!".

ارتَجَفَتْ لينا، لكِنَّها فكَّرَتْ في أنَّهُ ليس أمامَها العَديدُ منَ الخِياراتِ: إمّا أنْ تَمْضي في هذا الأمْرِ وتُحْضِرَ الخاماتِ منَ الجبلِ، وإمّا أنْ تظَلَّ أسيرَةَ هذه المُشكِلَةِ السَّخيفَةِ، ولهذا لَمْ تُفَكِّرْ كثيراً.

قالَتْ لينا: "لكنَّكَ سَتَأْتي مَعي".

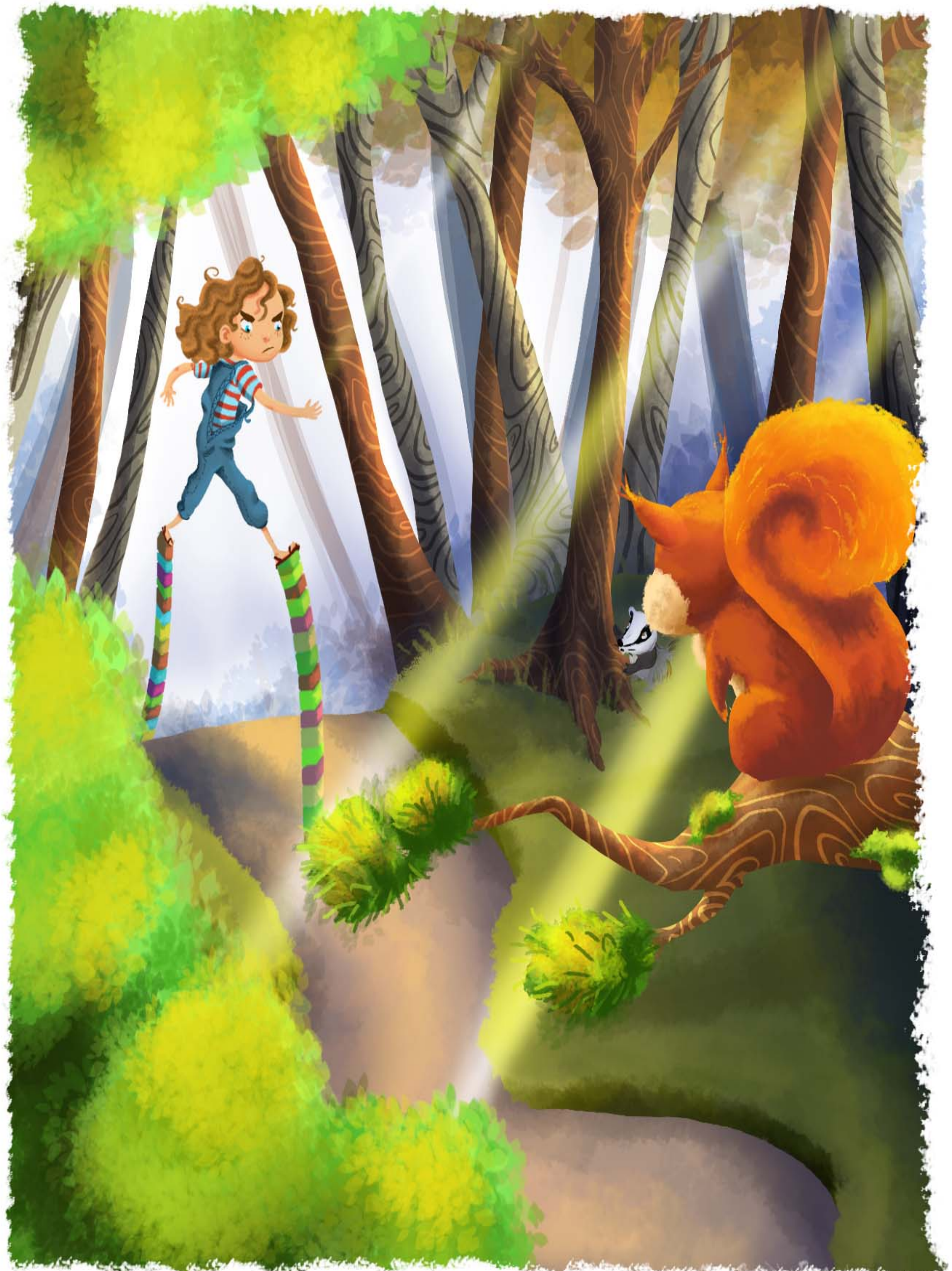
قالَ التِّنّينُ: "سأُرْشِدُكِ فقطْ إلى الطَّريقِ الصِّحيحِ، وعَلَيْكِ أنتِ الباقي".

"وهلْ منْ أخْلاقِ التِّنّينِ أنْ يتْرُكَ فَتاةً صَغيرَةً تَخُوضُ هذه المَخاطِرَ بِمُفْرَدِها؟".

"لا تُحاوِلي مَعي بهذه الأساليبِ، فأنا لا أُسْتَفَزُّ بسُهولَةٍ!".

تمَيَّزَتْ لينا منَ الغَيْظِ، وأرادَتْ أنْ تضْرِبَ التِّنّينَ على رأْسِهِ، لكنَّها عنْدَما انْحَنَتْ لتَضْرِبَهُ كادَتْ أنْ تسْقُطَ على رأْسِها نَظَرًا للارْتِفاعِ الكَبيرِ الذي أصْبَحَ عليهِ حِذاؤها! ضَحِكَ التِّنّينُ منَ المَنْظَرِ عنْدَما رآها تتَأَرْجَحُ بذِراعَيْها في الهَواءِ وهِي تُحاوِلُ التَّوازُنَ حتّى كادَ أنْ ينْقَلِبَ على قَفاهُ!

"حسَنًا!" قالتْ لينا، "قُلْ لي ماذا تحْتاجُ منَ الجبلِ وسَأُحْضِرُهُ لكَ". ثُمَّ أضافَتْ في تصْميمٍ: "سَأذْهَبُ وَحْدي!".



أَرْضُ الأشْجارِ الحَمْراءِ

في كلِّ مكانٍ تمْشي فيهِ لينا، كانتْ حَيَواناتُ الغابَةِ تنْظُرُ إليْها في تعَجُّبٍ. والطُّيورُ الصَّغيرَةُ وقَفَتْ على الأغْصانِ في صُفوفٍ كأنَّها تتَفَرَّجُ على مُباراةِ كُرَةِ القَدَمِ! كانَ الكُلُّ مُتَعَجِّبًا منْ منْظَرِ هذه الفَتاةِ الصَّغيرَةِ، التي ترْتَدي حِذاءً عَجيبًا يرْتَفِعُ بها نَحْوَ ثَلاثَةِ أمْتارٍ، فَبَدَتْ كعِمْلاقٍ يتَجَوَّلُ في الغابَةِ! كانتْ لينا قدْ قرَّرَتْ أنْ تَخوضَ المُغامَرَةَ وحْدَها، وألّا تعْتَمِدَ سِوى على نَفْسِها. في جَيْبِها قائمَةٌ بالأشْياءِ المَطْلوبَةِ، كتَبَها لها التِّنّينُ. سَتُحْضِرُ هذه الأشْياءَ وتَعُودُ إلَيْه بها ليَصْنَعَ لها التَّعْويذَةَ المُضادَّةَ. اتَّخَذَتْ لينا طَريقَها إلى الجبلِ الأصْفَرِ وقدْ أعْطاها طُولُها الجَديدُ ثِقَةً جَديدَةً بالنَّفْسِ؛ فقدْ أصْبَحَ في إمْكانِها الآنَ أنْ تَرى حتّى مَسافاتٍ أبْعَدَ، وإنْ كانَتْ تتَعَثَّرُ في سُهولَةٍ بأَيِّ شيْءٍ يُقابِلُها على الأرْضِ.

كانتْ قدْ خرَجَتِ الآنَ منَ الغابَةِ واتَّخَذَتْ أوَّلَ الطَّريقِ المُؤَدّي إلى الجبلِ. أخْرَجَتْ منْ جَيْبِها الوَرَقَةَ التي كتَبَها التِّنّينُ وقَرَأَتْ:

البَنْدُ الأوَّلُ

وَرَقَةٌ حَمْراءُ، منْ شَجَرَةٍ حَمْراءَ، منْ غابَةِ الأشْجارِ الحَمْراءِ!

قالتْ لينا: "إنَّهُ لَشَيْءٌ غايَةٌ في السُّهولَةِ. وبِطُولي هذا، أسْتَطيعُ أنْ أقْطِفَ أوْراقَ أيَّةِ شَجَرَةٍ مَهْما كانتْ طَويلَةً!". أخَذَتْ تتَلَفَّتُ حَوْلَها وهِي تَسيرُ في الطَّريقِ الصّاعِدِ إلى الجبلِ، باحِثَةً عنْ أيِّ مَكانٍ بهِ احْمِرارٌ وَسْطَ كلِّ هذه الصُّفْرَةِ حَوْلَها. كانتِ الأرضُ تُرابِيَّةً والأحْجارُ على جانِبَيِّ الطَّريقِ شَديدَةَ الِاصْفِرارِ كما قالوا لها بالضَّبْطِ، بلْ إنَّ المَكانَ ذاتَه كانتْ تَفوحُ منهُ رائحَةُ الجُبْنِ الرُّومِيِّ!

ظلَّتْ لينا سائرَةً إلى أنْ تمَلَّكَها التَّعَبُ ولمْ تعْثُرْ بَعْدُ على شيءٍ، فَضْلًا عنْ أنَّ مَعِدَتَها بدَأتْ تُؤلِمُها منَ الجوعِ. جلَسَتْ لينا على جِذْعِ شجَرَةٍ وأخَذَتْ تتَلَفَّتُ حَوْلَها بحْثًا عنْ أيِّ شيءٍ يُؤْكَلُ، فلَمْ تَجِدْ. رأَتْ الأشْجارَ في المَكانِ خالِيَةً منَ الثِّمارِ فازْدادَتْ جوعًا. وهنا، خطَرَ لها خاطِرٌ غَريبٌ؛ اِنْحَنَتْ وأمْسَكَتْ قِطْعَةَ حجَرٍ منَ الأرضِ وقَضَمَتْها، إنَّهُ جُبْنٌ بالفِعْلِ، وطَعْمُهُ مِثْلُ الجُبْنِ الرُّومِيِّ! لقدْ ضَمِنَتِ الآنَ أنَّها لنْ تجوعَ طِيلَةَ الرِّحْلَةِ! كانَتْ الشَّمْسُ قدْ بدَأتْ تغيبُ، ولمْ تتَمَكَّنْ بعْدُ منَ العُثورِ على الأشْجارِ الحَمْراءِ. أخَذَتْ تتَلَفَّتُ حَوْلَها بحْثًا عنْ مَكانٍ مُناسِبٍ للْمَبيتِ. خافَتْ، فهذه هي المَرَّةُ الأولى التي تبيتُ فيها خارجَ المَنْزِلِ، لكنَّها قرَّرَتْ أنْ تتَشَجَّعَ كيْ تتَخَلَّصَ منْ هذه المُشْكِلَةِ التي أوقَعَتْ نفْسَها فيها. كانتْ هناك مَجْموعَةٌ منَ الأشْجارِ مُتَوَسِّطَةِ الطُّولِ ذاتِ الخُضْرَةِ الدّاكِنَةِ، فقَرَّرَتْ لينا أنْ تبيتَ تحْتَها لتَسْتَأْنِفَ البَحْثَ في ضَوْءِ الصَّباحِ. ثُمَّ سُرْعانَ ما أظْلَمَتِ السَّماءُ، ودُونَ أنْ تشْعُرَ، سُرْعانَ ما غَطَّتْ هي في النَّوْمِ. اسْتَيْقَظَتْ لينا في الصَّباحِ وفَرَكَتْ عَيْنَيْها لترَى مَنْظَرًا غَريبًا؛ لقدْ تحَوَّلَتِ الأشْجارُ التي كانتْ تنامُ تَحْتَها إلى اللونِ الأحْمَرِ! أخَذَتْ تَتَلَفَّتُ حَوْلَها وهِي في غايَةِ العَجَبِ؛ يبْدو أنَّ هذه الأشْجارَ تَحْتَفِظُ بحُمْرَتِها حتّى الظَّهيرَةِ فقَطْ، وبَعْدَها تَعودُ إلى لَوْنِها الطَّبيعِيِّ،لا بُدَّ منْ أنَّ هذه هي أرضُ الأشْجارِ الحَمْراءِ.

اِرْتَـدَتْ لينا حِذاءَهـا الطَّويـلَ وانْتَصَبَـتْ واقِفَـةً وقـدْ صـارَتْ الآنَ طَويلَـةً بِما يكْفـي لِتَقْطِـفَ أيَّـةَ وَرَقَـةٍ تُريدُهـا مـنَ الأشـجارِ. مـدَّتْ يدَهـا لِتَقْطِـفَ أقْـرَبَ ورَقَـةٍ إلَيْهـا، ولكِـنْ، ارْتَـدَّتِ الورقَـةُ إلى الخَلْـفِ قَبْـلَ أنْ تَقْطِفَهـا! تعَجَّبَـتْ لينـا مِـمّا حـدَثَ فحاولَـتْ مـعَ ورَقَـةٍ أُخْـرى، لكنَّهـا فعلَـتْ مثْـلَ سابِقَتِها! حاولَـتْ مـعَ ورَقَـةٍ أُخْـرى، وأُخـرى، وأُخـرى، وأُخـرى، لكِـنَّ فُـروعَ الأشْـجارِ كانـتْ تتَراجَـعُ إلى الخَلْـفِ في اسْـتِمْرارٍ، ولمْ تتَمَكَّـنْ مـنَ الإمْسـاكِ بأيَّـةِ ورَقَـةٍ، وخُيِّـلَ إلَيْهـا أنَّ الأشْـجارَ تضْحَـكُ منْهـا! فقَـدَتْ لينـا أعْصابَهـا وألْقَـتْ بنَفْسِـها عـلى إحـدى الأشْـجارِ، لكِـنَّ الشَّـجرةَ رجَعَـتْ بجِذْعِهـا إلى الخَلْـفِ فسَـقَطَتْ لينـا عـلى وجْههـا، وخـرَجَ حِذاؤُهـا مـنْ قدَمَيْهـا! غَضِبَـتْ لينـا كثـيراً، وانتابتهـا الرَّغْبَةُ في البُكاء. وقفَتْ، وأخَذَتْ تضْرِبُ الأرضَ بقَدَمِها منَ الغضَبِ.

تريـك تـراك! تريـك تـراك! إنَّـهُ لَصَـوْتٌ مُفْـزِعٌ! كانـتْ لينـا قـدْ نسِـيَتْ أنَّهـا دونَ حِـذاءٍ، وأنَّ كَعْبَيْهـا يُصْدِرانِ هـذا الصَّـوْتَ المُزْعِـجَ عنْـدَ الحَرَكَـةِ؛ ارتجَفَـتْ مـنْ شِـدَّةِ الصَّـوتِ وارتَجَفَـتْ أيضًـا الأشـجارُ الحمـراءُ، إلى درجَـةِ أنَّهـا ألقَـتْ كلَّ أوْراقِهـا عـلى رأسِ لينـا! التَقَطَـتْ لينـا إحـدى الأَوْراقِ ووَضَعَتْهـا في جَيْبِها، ثُمَّ ارْتَدَتِ الحِذاءَ ومَضَتْ في طَريقِها.

لقدْ حُلَّتِ المُشْكِلَةُ الأولى!



عَرَبَةُ الخَوْفِ الخَشَبِيَّةُ

تناوَلَتْ لينا الإفطارَ كالأمسِ مِنْ قِطَعِ الحِجارَةِ المُتَحَوِّلَةِ إلى جُبْنٍ، وقَدْ شعَرَتْ بالكثيرِ مِنَ الفرَحِ والتَّفاؤلِ لنَجاحِها في الحُصولِ على الشَّيْءِ الأوَّلِ في القائمَةِ التي كتَبَها التِّنينُ. ويَبْدو أنَّ الجُبْنَ كان مالِحًا اليَومَ، إذْ عَطِشَتْ عَطَشًا شديدًا، فأخَذَتْ تبْحَثُ عنْ أيِّ مَصْدَرٍ للماءِ، حتّى سمِعَتْ صوتَ نَهرٍ يجْري في مكانٍ قريبٍ فجَرَتْ إليه، ولدَهْشَتِها، وجَدَتْ أنَّ ماءَ النَّهْرِ أصفَرُ وشديدُ اللزوجَةِ، وعنْدَما حاولَتْ أنْ تشْرَبَ اكتَشَفَتْ أنَّه نَهرٌ مِنَ الزُّبْدِ!

ازْدادَتْ لينا عطَشًا ودَهْشَةً، ولمْ تعْرِفْ ماذا تفْعَلُ، ثُمَّ قرَّرَتْ أنْ تتحَمَّلَ قليلًا وأنْ تبْدَأَ البَحْثَ عنْ المَطْلَبِ الثّاني للتِّنّينِ. أخْرَجَتِ الوَرَقَةَ مِنْ جَيْبِها وقَرأَتْ:

البَنْدُ الثّاني

بُزالٌ (بُرْغِيٌّ) منْ عَرَبَةِ الخَوْفِ الخَشَبِيَّةِ!

تعَجَّبَتْ لينا، وأضافَتْ إلى مشاعِرِ الدَّهْشَةِ والعَطَشِ إحْساسًا جديدًا بالخَوْفِ! أخَذَتْ تُعيدُ قِراءَةَ المَطْلوبِ بصَوْتٍ مَسْموعٍ: "بزالٌ (أي: برغيٌّ) من عربةِ الخوفِ الخَشَبيَّةِ". وهنا، سَمِعَتْ صَوْتَ ضِحْكَةٍ طَويلَةٍ رفيعَةٍ وَراءَها. أجْفَلَتْ والْتَفَتَتْ لِترَى مِنْ أيْنَ أتى هذا الصَّوْتُ، فرَأتِ الغُرابَ الأخضرَ!



ارْتَجَفَتْ لينا؛ كان الغُرابُ يقِفُ فَوْقَ غُصْنِ إحدى الأشجارِ الحمْراءِ التي بدَأتْ تتحَوَّلُ إلى اللونِ الأخضرِ، فبَدَتْ نِصْفَ حمْراءَ نِصْفَ خضْراءَ. تراجَعَتْ لينا إلى الخَلْفِ والْتَصقَتْ بإحدى الشُّجَيْراتِ، هنا تكَلَّمَ الغُرابُ!

قالَ: "لقَدِ انْتَهَتْ رِحْلَتُكِ هنا!". كان صَوْتُه كأزيزِ سِرْبٍ منَ النَّحْلِ.

"لقَدْ رَأَيْتُكِ تحْصُلينَ على الورَقَةِ الحمْراءِ، ولمْ تكُنْ هذه شَجاعَةً منْكِ، لقَدْ كان حَظُّكِ جيِّدًا ليسَ أكثَرَ. لمْ يسْتَطِعْ أحَدٌ قطُّ أنْ يتَماسَكَ أمامَ عربَةِ الخَوْفِ الخَشَبِيَّةِ".

سألتْ لينا: "وَ، مَـ مَـ، ماذا عَـ عَـ عنْ هذه العَـ العَرَ، العَرَبَةِ؟".

ضَحِكَ الغُرابُ أكثَرَ: "ها قدْ بدَأْتِ ترْتَجِفينَ بمُجَرَّدِ أنْ سَمِعْتِ اسْمَها، فماذا إذا واجَهْتِها؟ لهذا صَنَعَتِ السّاحراتُ هذه العرَبَةَ، كَيْ تُلْقِيَ الرُّعْبَ في قُلوبِ كلِّ مَنْ يُفَكِّرُ في الِاقْتِرابِ منَ الجبَلِ. ها ها هو هو هي ي ي ي ي!!".

غَضِبَتْ لينا، فالتَقَطَتْ قِطْعَةً منَ الجُبْنِ عَنِ الأرضِ وقَذَفَتْ بها الغُرابَ الذي الْتَقَطَها بمِنْقارِهِ وابْتَلَعَها!

"سَتَسْتَغْرِقينَ وقْتًا طَويلًا كَيْ تسْتَطيعي العُثورَ على العرَبَةِ، فالعرَبَةُ تبْحَثُ عنِ الدُّخَلاءِ لكنَّها تخْتَبِئُ مِمَّنْ يَطْلُبُها، لذا سأذْهَبُ لأُرْسِلَها إلَيْكِ كَيْ أُعَجِّلَ في نِهايَتِكِ!". طارَ الغُرابُ مُبْتَعِدًا في السَّماءِ، فجلَسَتْ لينا على قِطْعَةِ جُبْنٍ كبيرَةٍ لتُفَكِّرَ؛ واضِحٌ أنَّ العرَبَةَ شيْءٌ يُحاوِلُ أنْ يَبْعَثَ الخَوْفَ في النُّفوسِ، فلْتَتَشَجَّعْ إذَنْ كَيْ تنْتَصِرَ.

لمْ تَمْضِ بِضْعُ دقائقَ على رحيلِ الغُرابِ حتّى بدَأتِ السَّماءُ تُظْلِمُ. تجَمَّعَتِ العَديدُ منَ السُّحُبِ التي غطَّتْ وجْهَ الشَّمْسِ وبدَأَتْ ريحٌ قَوِيَّةٌ في الهُبوبِ، بيْنَما سَمِعَتْ صَوْتَ حوافِرِ خُيولٍ تَعْدُو آتِيَةً منْ بَعيدٍ، يصْحَبُها صَوْتُ قَعْقَعَةٍ خشَبِيَّةٍ مُفْزِعَةٍ! ارتَجَفَتْ لينا وقدْ بدَأَتْ تفْقِدُ السَّيْطَرَةَ على أعْصابِها، وأوْراقُ الأشْجارِ تصْفَعُ وَجْهَها بفِعْلِ الرِّياحِ القَوِيَّةِ، بيْنَما الصَّوْتُ يقْتَرِبُ شيْئًا فشيْئًا. هُرِعَتْ لينا إلى إحْدى الأشْجارِ الكَبيرَةِ لتَخْتَبِئَ تحْتَها، بيْنَما لاحَتِ العرَبَةُ الخَشَبِيَّةُ السَّوْداءُ منْ بعيدٍ، وما لَبِثَتْ أنْ مَرَّتْ أمامَها!



كان كلُّ شيْءٍ في العرَبَةِ الخَشَبِيَّةِ أسْوَدَ، وسِتَّةُ أحْصِنَةٍ سَوْداءَ تجُرُّها. كلُّ حِصانٍ يرْتَدي حَرْمَلَةً سَوْداءَ تُرَفْرِفُ في الهَواءِ خَلْفَهُ. توَقَّفَتِ العرَبَةُ عنِ الحَرَكَةِ بالقُرْبِ منَ الشَّجَرَةِ، فأخْرَجَتْ لينا رأْسَها لتتأمَّلَها، وهنا رأتْ سائقَ العرَبَةِ؛ كان القائدُ قِرْدًا! رآها فابْتَسَمَ ابْتِسامَةً مُخيفَةً أظْهَرَتْ أسْنانَهُ الحادَّةَ الصَّفراءَ، ولَكَزَ الأحْصِنَةَ كَيْ تسْتَديرَ في اتِّجاهِها. وهنا قرَّرَتْ لينا شيْئًا، إنَّ الأحْصِنَةَ تخافُ الأصْواتَ العالِيَةَ حتّى لوْ كانتْ أحْصِنَةً سَوْداءَ مَسْحورَةً كهذه، لذا ستَسْتَخْدِمُ الطَّريقَةَ نَفْسَها التي حصَلَتْ بها على الوَرَقَةِ الحَمْراءِ. خلَعَتْ حِذاءَها واتَّجَهَتْ نحْوَ الجِيادِ. تريك تراك! تريك تراك!

لكنَّ شيْئًا لمْ يَحْدُثْ، ومَعَ دَهْشَتِها، لاحَظَتْ قِطَعًا منَ القُطْنِ الأسْودِ على آذانِ الجِيادِ!

ارْتَجَفَتْ لينا بيْنَما أطْلَقَ القِرْدُ صَرْخَةَ انْتِصارٍ مُدَوِّيَةً، وبَدَأتِ الجِيادُ تتحَرَّكُ. ارْتَدَتْ لينا حِذاءَها في سُرْعَةٍ، وانْطَلَقَتْ تجْري وهِي تَرْتَعِشُ منَ الخَوْفِ. وهنا حَدَثَ شيْءٌ غَريبٌ؛

لقَدْ فَزِعَتِ الجِيادُ منْ مَنْظَرِ لينا وهِي تجْري مُرْتَدِيَةً حِذاءَها العَجيبَ، إذْ لمْ تَرَ منْ قَبْلُ كائنًا في هذا الطُّولِ المُفْرِطِ! صَهَلَتِ الجِيادُ صَهيلًا طَويلًا، وارْتَفَعَتْ قَوائِمُها الأمامِيَّةُ وانْطَلَقَتْ تَجْري مَرْعوبَةً! اِرْتَطَمَتْ العرَبَةُ بإحدى الأشْجارِ الضَّخْمَةِ وتحَطَّمَتْ ألْواحُها الخَشَبِيَّةُ، بيْنَما طارَ القِرْدُ منْ شِدَّةِ الاِرْتِطامِ وسَقَطَ في نَهرِ الزُّبْدِ!

لمْ تُصَدِّقْ لينا نَفْسَها؛ فلَمْ تكُنْ تَعْرِفُ أنَّ لها مِثْلَ هذا الحَظِّ! اِقْتَرَبَتْ منْ العرَبَةِ المُحَطَّمَةِ والْتَقَطَتْ بُزالًا منْ بَيْنِ ألْواحِها، وأخَذَتْ تتَأَمَّلُهُ: بُرْغِيٌّ طَويلٌ مُسَنَّنٌ. هذا هو المَطْلوبُ.

وهنا، توَقَّفَتِ الرِّياحُ عنِ الهُبوبِ، وعادَتْ أشِعَّةُ الشَّمْسِ تَظْهَرُ منْ بَيْنِ السُّحُبِ، ولِدَهْشَتِها وجَدَتْ لينا أنَّ الأحْصِنَةَ السَّوْداءَ المَسْحورَةَ قدْ تحَوَّلَتْ إلى اللونِ البُنِّيِّ، وعادَتْ أحْصِنَةً عادِيَّةً جدًّا؛ لقَدْ تلاشى السِّحْرُ مَعَ تحَطُّمِ العرَبَةِ!

فرِحَتْ لينا جدًّا بنَجاحِها، وفكَّتِ الأحْصِنَةَ وحرَّرَتْها منْ ألْجِمَتِها وأطْلَقَتْها في الغابَةِ، ثُمَّ اسْتَعَدَّتْ للبَحْثِ عنِ المَطْلَبِ الثّالِثِ للتِّنّينِ، إلّا أنَّ الشَّمْسَ كانتْ على وَشْكِ المَغيبِ، وكانتْ تُرْسِلُ آخِرَ أشِعَّتِها الذَّهَبِيَّةِ منْ خَلْفِ الأشجارِ العالِيَةِ في الجِهَةِ الغَرْبِيَّةِ، فلَمْ تَرَ لينا الغُرابَ الأخضرَ الذي كان يقِفُ فَوْقَ إحدى هذه الأشجارِ ويَنْظُرُ إلَيْها في غَضَبٍ.



البَحْثُ عَنْ أَسَدٍ!

لَمْ يكُنِ الليلُ مُخيفًا هذه المَرّةَ بالنِّسبَةِ إلى بَطَلَتِنا الصَّغيرَةِ؛ فَلِأَوَّلِ مَرّةٍ تنامُ عميقًا ودونَ أحلامٍ، ولها الحَقُّ في ذلك، فَهِي تشْعُرُ الآنَ بالكَثيرِ منَ الثِّقَةِ بالنَّفْسِ، لكنَّها لا تعْرِفُ أنَّ هذا لنْ يسْتَمِرَّ طَويلًا!

أخْرَجَتِ الورَقَةَ منْ جيْبِها وقرَأَتْ:

البَنْدُ الثّالِثُ

الشَّعْرَةُ الذَّهَبِيَّةُ لِلأسَدِ ذي الشَّعْرَةِ الذَّهَبِيَّةِ!

تعَجَّبَتْ لينا هذه المَرّةَ، إنَّ في الأمْرِ أسَدًا إذنْ. لكنْ هلْ يكونُ الأمْرُ مُخيفًا أكثَرَ منْ عرَبَةِ الخَوْفِ السَّوْداءِ المُرْعِبَةِ؟ وأينَ يُمكِنُ أنْ تَجِدَ هذا الأسَدَ الغَريبَ؟ إنَّ التِّنّينَ الجَبانَ لا يُقَدِّمُ نَصائحَ أو إرْشاداتٍ منْ أيِّ نَوْعٍ!

جلَسَتْ على الأرضِ تُفَكِّرُ وهِي تعْبَثُ أحيانًا بِقِطَعِ الجُبْنِ على الأرضِ وأحيانًا أخرى تأْكُلُها! مَلَّتْ لينا، فأمْسَكَتْ بإحدى قِطَعِ الجُبْنِ وألْقَتْ بها في الهَواءِ، فسَقَطَتْ خَمْسُ قِطَعٍ منَ الجُبْنِ على رأْسِها!

إنْدَهَشَتْ لينا، والْتَفَتَتْ إلى الخَلْفِ وهِي تتَحَسَّسُ رأْسَها. رأتِ الغُرابَ الأخضرَ يسْتَعِدُّ لِيُلْقِيَ عليْها المَزيدَ منْ قِطَعِ الجُبْنِ. لبِثَتْ لَحَظاتٍ، ثُمَّ أخَذَتْ القِطَعُ تتَساقَطُ على رأْسِها كطَلَقاتِ المَدافِعِ! حاولَتْ أنْ تحْتَمِيَ بيَدَيْها، لكِنَّ قِطَعَ الجُبْنِ الْتَصَقَتْ بشَعْرِها ووَجْهِها فصارَ شكْلُها غريبًا. وهنا انْطلَقَتْ ضِحْكَةٌ طَويلَةٌ رفيعَةٌ منْ خلْفِ إحدى الشُّجَيْراتِ، ورأَتْ لينا ولَدًا صَغيرًا يُقَهْقِهُ ووَجْهُهُ ومَلابِسُهُ مُغَطّاةٌ بالزُّبْدِ؛ إنَّه أوَّلُ إنسانٍ تراهُ في هذا الجبلِ الغَريبِ الذي لا يسْكُنُهُ أحَدٌ! فكَّرَتْ قليلًا فتَذَكَّرَتِ الذي سقَطَ في نَهرِ الزُّبْدِ بالأمْسِ.

قالتْ لينا: "أنتَ! أنتَ الذي؟".

صاحَ: "نعمْ أنا! أنا القِرْدُ الذي رأيْتِهِ أمْسِ!".

سألتْ: "كَـ كيْفَ؟".

أجابَ: "لقدْ سحَرَتْني السّاحرَةُ الشِّرّيرَةُ في صورَةِ القِرْدِ سائِقِ العَرَبَةِ الخَشَبِيَّةِ الذي يحْرُسُ الجبلَ الأصفرَ،

وعنْدَما تحَطَّمَتِ العرَبَةُ تَلاشى السِّحْرُ وعُدْتُ إلى طَبيعَتي؛ لقدْ ظَلَلْتُ مسْحورًا منْذُ، منْذُ، منذُ فتْرَةٍ طَويلَةٍ جدًّا".

"اِسْمي لينا".

"أعْرِفُ".

"ما اسمُكَ؟"، سَألَتْهُ لينا.

"جُوريٌّ"، أجابَ الولدُ.

سعِدَتْ لينا كثيرًا بالصُّحْبَةِ الجَديدَةِ؛ ها هُو أخيرًا كائنٌ ناطِقٌ يصْحَبُها في رِحْلَتِها، خِلافًا لذلكَ الغُرابِ الشِّرّيرِ المُزْعِجِ. إنَّهُ ليسَ رَفيقًا عادِيًّا، لكنَّهُ عاشَ هنا فَتْرَةً طَويلَةً، لذا فهُو أيضًا خَبيرٌ بالمِنْطَقَةِ. لكنَّ جوريًّا اسْتَدارَ وانْطَلَقَ يجْري خَلْفَ الشَّجَرةِ التي كان يَقِفُ خَلْفَها!

جرَتْ لينا خَلْفَهُ: "إلى أيْنَ تذْهَبُ؟ إنَّ أمامَنا أشياءَ عَديدَةً لنُنْجِزَها؛ يجبُ أنْ نَحْصُلَ على شَعْرَةِ الأسَدِ الذَّهَبِيَّةِ!".

"هلْ قلتِ «نحْصُلُ»؟"، ضَحِكَ جوريٌّ، "وما عَلاقَتي أنا بهذا المَوْضوعِ؟".

قالتْ لينا: "ألنْ تُساعِدَني في البَحْثِ عنِ الأسَدِ ذي الشَّعْرَةِ الذَّهَبِيَّةِ؟".

لكنْ يبْدو أنَّ جوريًّا لمْ يكُنْ مُتحَمِّسًا للْفِكْرَةِ؛ لقَدْ تحَرَّرَ منَ السِّحْرِ، ولَيْسَتْ لدَيْهِ رَغْبَةٌ في مُساعَدَةِ الآخَرينَ.

غَضِبَتْ لينا منْ أنانِيَّةِ ذاكَ الذي ظَنَّتْ أنَّهُ أصْبَحَ رَفيقًا لها، لقَدْ كانَ لها الفَضْلُ في تخْليصِهِ منَ السِّحْرِ ومَعَ ذلكَ فهُو لا يحْمِلُ لها أيَّ نَوْعٍ منَ العِرْفانِ بالجَميلِ، بل ويَلْهو في نَهرِ الزُّبدِ مُتَجاهِلًا إيّاها!

قالَ جوريٌّ: "اتْرُكيني لألْعَبَ، فأنا لمْ ألْعَبْ منذُ مُدَّةٍ طَويلَةٍ! يجبُ أنْ ألْعَبَ أطْوَلَ مُدَّةٍ مُمْكِنَةٍ قبلَ أنْ يَحِلَّ الغُروبُ"، ثُمَّ أخَذَ يَجْري مُبْتَعِدًا. ورُغْمَ غَضَبِ لينا إلّا أنَّها لمْ تَيْأسْ، فقَدْ قطَعَتْ شَوْطًا طَويلًا ولمْ يَبْقَ إلّا القَليلُ. ستَبْحَثُ عنِ الأسَدِ وَحْدَها.

أخذَتْ لينا طَريقَها عبْرَ الطَّريقِ الصّاعِدِ خِلالَ الجبلِ، وأخذَتْ تتَلَفَّتُ يَمينًا ويَسارًا عَلَّها تَجِدُ ما يُرْشِدُها إلى ما تبْحَثُ عنهُ، لكنَّ النَّهارَ انْتَصَفَ دونَ أنْ تعْثُرَ على شيءٍ.

كانتْ طُيورُ الغابَةِ وعَصافيرُها تهْرُبُ فزَعًا منْ منْظَرِها الغَريبِ وهِي تَلْبَسُ الحِذاءَ. ظلَّتْ تَسيرُ إلى أنْ تعِبَتْ، فجَلَسَتْ على قِطْعَةٍ كَبيرَةٍ منَ الجُبْنِ. أخَذَتْ تتَلَفَّتُ حَوْلَها، لكنَّ هذه البُقْعَةَ كانتْ خالِيَةً منْ أيِّ أثَرٍ للحَياةِ، حتّى العَصافيرُ الصَّغيرَةُ لمْ تكُنْ هناكَ. تعَجَّبَتْ منْ هذا السُّكونِ الرَّهيبِ. وهنا خرَجَ جوريٌّ منْ خَلْفِ إحدى الأشْجارِ!

قالَ جوريٌّ: "لقَدْ مَلَلْتُ منَ اللَّعِبِ، وقرَّرْتُ أنْ أتَسَلّى بالمَشْيِ وراءَكِ دونَ أنْ تلْحَظي. وأرى أنَّهُ منْ واجِبي أنْ أُخْبِرَكِ أنَّ هناكَ تِنّينًا رَهيبًا يَعيشُ في هذه المِنْطَقَةِ، وهُو يَتَناوَلُ وَجْبَتَهُ اليَوْمِيَّةَ في مثْلِ هذا الوقْتِ منَ اليَوْمِ؛ أنتِ في خطَرٍ!". ورُغْمَ غضَبِها منهُ سَعِدَتْ لمَرْآهُ. وهنا، سَمِعا صَوْتًا رَهيبًا، وانْدَلَعَتِ النّيرانُ في شَجَرَةٍ قَريبَةٍ. ارْتَجَفَتْ لينا وهَبَّتْ واقِفَةً واسْتَعَدَّتْ للْجَرْيِ. خرَجَ التِّنّينُ منَ الدَّغَلِ. كانَ تِنّينًا صَغيرًا وقَصيرًا جدًّا يَنْفُثُ ألْسِنَةً منَ النّارِ منْ فَمِه، ولِدَهْشَتِها، وجَدَتْ أنَّهُ يُشْبِهُ كَثيرًا القَزَمَ الذي رأَتْهُ في مَنْزِلِها! لقَدْ عرَفَتِ الآنَ لماذا سُمِّيَ القزَمُ بالتِّنّينِ.

جذَبَها جوريٌّ من يدِها وانْطَلَقا يَجْرِيانِ، ويَجْرِيانِ، ويَجْرِيانِ، إلى أنْ تَعِبا فجَلَسا يَلْهَثانِ. وبعْدَ أنْ توَقَّفا عنِ اللُّهاثِ ضَحِكا.

قالَ جوريٌّ: "سَأقولُ لكِ أيْنَ تجِدينَ الأسَدَ، لكنْ يجِبُ أنْ تعْرِفي أنَّهُ لمْ يحْدُثْ أنِ اقْتَرَبَ أحَدٌ مِنَ الأسَدِ ذي الشَّعْرَةِ الذَّهَبِيَّةِ وعادَ حَيًّا قَطُّ".



أحْكَمُ مِنْ حِكْمَةِ السُّلَحْفاةِ

عنْدَما تَشْتَدُّ حَرارَةُ الجَوِّ في الجبلِ الأصفرِ فإنَّ التَّحَرُّكَ على الأرضِ يُضْحي صَعْبًا، فبَعْضُ الصُّخورِ تَسيلُ منَ الحَرِّ، وبَعْضُها يلْتَصِقُ بقَدَمَيْ منْ يُحاوِلُ السَّيْرَ. أَلَيْسَتْ صُخورُ الأرضِ منَ الجُبْنِ؟ واليَوْمُ كانَ حارًّا، والسَّيْرُ كان صَعْبًا، لذا جلَسَ كلٌّ منْ لينا وجوريٍّ على جِذْعِ شجَرَةٍ.

قالَ جوريٌّ: "أنا لا أعْرِفُ شيْئًا عنِ الأسَدِ ذي الشَّعْرَةِ الذَّهَبِيَّةِ سِوى أنَّهُ الوَحْشُ الأكْثَرُ إرْعابًا في هذا المَكانِ؛ إنَّهُ حارِسُ هذا الجبلِ الذي وضَعَتْهُ السّاحراتُ كَيْ يَقْضِيَ على المُتطَفِّلينَ ومَنْ يُفْلِتونَ منْ عرَبَةِ الخَوْفِ، ولا سَبيلَ لنا إلى مُجابَهَتِهِ، فضْلًا عنِ الحُصولِ على شَعْرَتِه الذَّهَبِيَّةِ الوَحيدَةِ".

بدا على لينا الضِّيقُ والحَيْرَةُ. أضافَ جوريٌّ: "لقَدْ رأيْتُ الأسَدَ مرَّةً واحِدَةً فقط؛ إنَّهُ أكبَرُ منْ أيِّ أسَدٍ رأيْتُهُ، أسْنانُهُ حادَّةٌ مِثْلُ إبَرِ الخِياطَةِ، عَيْناهُ حَمْراوانِ كالدَّمِ وتَلْمَعانِ في الظَّلامِ، جِسْمُهُ لامِعٌ كالنُّحاسِ المَصْقولِ، ولِبْدَتُهُ صفراءُ كالقَشِّ، وبها شَعْرَةٌ واحِدَةٌ ذَهَبِيَّةٌ كالشَّمْسِ".

سأَلَتْ لينا وقَدْ بدَأَتْ تَيْأَسُ: "وماذا نَفْعَلُ إذَنْ؟".

"لا أعْرِفُ، لكنّي أعْرِفُ منْ يَعْرِفُ!".

هكذا قالَ جوريٌّ واصْطَحَبَ لينا إلى داخِلِ الدَّغَلِ.

"سَنَذْهَبُ لنَسْأَلَ السُّلَحْفاةَ. إنَّها تعْرِفُ كلَّ شيءٍ!".

كانَ جوريٌّ يُمْسِكُ بِيَدِ لينا راكِضًا داخِلَ الغابَةِ، بيْنَما لمْ تكُنْ هي قادِرَةً على مُجاراتِهِ في السُّرعةِ بسببِ حِذائها الطَّويلِ، فكادَتْ أن تتَعَثَّرَ عدَّةَ مرّاتٍ وهِيَ ترْكُضُ، إلى أنْ وصَلا إلى مَدخَلِ مَغارَةٍ كَبيرَةٍ، فرَأَتْ لينا سُلَحْفاةً ضَخْمَةً جدًّا، يبْلُغُ ارْتِفاعُها ضِعْفَ طُولِها وهِيَ ترْتَدي الحِذاءَ العَجيبَ، وكانتْ نائمَةً!

أخذَتْ لينا تتَأَمَّلُ في دَهْشَةٍ رأْسَ السُّلَحْفاةِ الطَّويلِ الذي يخْرُجُ منْ دَرَقَتِها المُزَرْكَشَةِ، بيْنَما كانَ جوريٌّ يهْمِسُ: "هذه هي السُّلَحْفاةُ التي تعْرِفُ كلَّ شيءٍ، لقدْ تعلَّمَتْ في بُيوتِ ساحراتِ الزَّمَنِ القَديمِ، وقَرَأَتْ كلَّ الكُتُبِ التي كانتْ لدَيْهِنَّ، كما قرَأَتْ كلَّ الكُتُبِ التي في مَكْتَبَةِ البَلْدَةِ. لكنَّها، إذْ لمْ تتَوَقَّفْ عنِ النُّمُوِّ منذُ مِائَتَيْ عامٍ، لمْ يعُدْ هناكَ مَنْزِلٌ يَكْفيها، فترَكَتْها السّاحراتُ هنا".

- "هلْ نَسْأَلُها عنْ مُشْكِلَتِنا؟ هلْ سَتَعْرِفُ الإجابَةَ عنْ أسْئلَتِنا؟ ما زِلْتُ لا أتَخَيَّلُ أنْ أسْألَ سُلَحْفاةً!".

- "جَرِّبي، لنْ تخْسَري شيئًا. صَدِّقيني، إنَّ السُّلَحْفاةَ تعْرِفُ كلَّ شيءٍ".

أخَذَتْ لينا نفَسًا عَميقًا، ورفَعَتْ صَوْتَها كَيْ تُوقِظَ السُّلَحْفاةَ: "يا سَيِّدَتي السُّلَحْفاةُ!".

فتَحَتْ السُّلَحْفاةُ نِصْفَ عيْنٍ، ونظَرَتْ إلى لينا لَحْظَةً ثُمَّ عادتْ إلى النَّوْمِ!

صرَخَتْ لينا مَرَّةً أُخْرى: "اِسْتَيْقِظي أيَّتُها السُّلَحْفاةُ!".

فتَحَتِ السُّلَحْفاةُ عيْنَيْها ورَدَّدَتْ: "سُلَحْفاةٌ؟!"، ثُمَّ أضافَتْ: "هلْ تَعْلَمينَ أنَّ سُلَحْفاةَ الباسيفيكِ هي أكبَرُ سُلالاتِ السَّلاحِفِ في العالَمِ؟ إذْ يبْلُغُ طولُها من واحدٍ فاصلةٌ ثمانيةٍ إلى اثنين فاصلةٌ واحدٍ متراً، أمّا وَزْنُها فيَصِلُ إلى ثَلاثِمائةٍ وستينَ كيلو غرامًا، وقدْ عُثِرَ على إحْدى أفْرادِ هذه السُّلالَةِ وقدْ بَلَغَ وَزْنُها ثمانمائةٍ وخمسةً وستينَ كيلو غرامًا!" هتَفَ جوريٌّ قائلًا للينا: "ألمْ أقُلْ لك إنَّ السُّلَحْفاةَ تعْرِفُ كلَّ شيءٍ؟!".

قالتْ السُّلَحْفاةُ: "منْ أنْتُما؟".



قالَ جوري: "هذه لينا وأنا جوريٌّ".

دقَّقَتِ السُّلَحْفاةُ النَّظَرَ إلى جوري وسَألَتْ: "شَكْلُكَ مَألوفٌ، هلْ رَأَيْتُكَ منْ قبْلُ؟".

قالَ جوري: "أنا قائدُ عرَبَةِ الخَوْفِ الخَشَبِيَّةِ؛ كُنْتُ قِرْدًا".

قالتْ السُّلَحْفاةُ: "هلْ تعْلَمُ أنَّ قِرْدَ الماموسيهِ هُو أصْغَرُ قِرْدٍ في العالَمِ؟ إذْ لا يَتجاوَزُ طُولُهُ طُولَ إصْبَعِ اليَدِ". بدَتِ السَّعادَةُ على وجْهِ جوريٍّ، بيْنَما مدَّتْ لينا يدَها تُصْلِحُ منْ وَضْعِ زهْرَةٍ تُزَيِّنُ بها شَعْرَها.

قالتْ السُّلَحْفاةُ: "هلْ تعْلَمينَ أنَّ زَهْرَةَ الكونْفولفولوسِ تُرْسِلُ منْ داخِلَها ضَوْءًا خَفيفًا يُشْبِهُ المِصْباحَ؟". وهنا لاحَظَتِ السُّلَحْفاةُ الطُّولَ المُفْرِطَ للينا فأضافَتْ: "هلْ تَعْلَمينَ أنَّ السَّيِّدَةَ الإنكْليزِيَّةَ «جينْ بينفورْدَ» التي وُلِدَتْ عامَ ألفٍ وثمانِمائَةٍ وخمسةٍ وتسعين بلَغَ طُولُها مترًا وثمانيةً وتسعين بالمئَةِ، وهيَ في عُمُرِ إحدى عَشْرَةَ سنةً، ووَصَلَ طُولُها إلى مترينِ وواحدٍ وأربعين بالمئة قبْلَ أنْ تَموتَ عامَ ألفٍ وتِسعِمائةٍ واثنينِ وعشرين؟".

همَسَتْ لينا لجوريٍّ: "ما لهذه السُّلَحْفاةِ الثَّرْثارَةِ؟ إنَّها تنْثُرُ المَعْلوماتِ في كلِّ مكانٍ، لكنَّها معْلوماتٌ بلا فائدَةٍ، ثُمَّ إنَّني لمْ أرَ شيئًا بِمِثْلِ هذه الضَّخامَةِ منْ قبْلُ؛ إنَّها ضَخْمَةٌ كالحوتِ!".

همَسَ جوريٌّ: "اِنْتَبِهي، فإنَّ سمْعَها حادٌّ أيْضًا!".

قالتِ السُّلَحْفاةُ: "هلْ تعْرِفانِ أنَّ الحوتَ الأزرقَ أكبَرُ الكائناتِ الحيَّةِ منْ حيْثُ الحَجْمُ؟ وأنَّ بيْضَةَ حوتِ الرورْكالِ الأزرقِ تَزِنُ جزءًا منَ المِليغرام الواحِدِ، ولا تكادُ تُرى بالعَيْنِ المُجَرَّدَةِ، وخِلالَ اثنينِ وعِشرينَ شهرًا وثلاثَةِ أسابيعَ، يُصْبِحُ وزْنُ الحوتِ الصَّغيرِ الذي يخْرُجُ منْها، سِتَّةً وعِشرينَ طُنًّا ويتَعَدّى طُولُهُ بِضْعَةَ أمتارٍ؟".

قالتْ لينا في حِدَّةٍ وغضَبٍ: "لا، لا نَعْرِفُ!".

قالتِ السُّلَحْفاةُ: "إذَنْ ماذا تعْرِفانِ؟".

قالتْ لينا: " نعْرِفُ أنَّ علَيْنا الحُصولَ لى شَعْرَةٍ منْ أسَدٍ مُتَوَحِّشٍ".

قالتِ السُّلَحْفاةُ: "هلْ تعْرِفينَ أنَّ زَئيرَ الأسَدِ يُمْكِنُ أنْ يُسْمَعَ منْ مَسافَةِ خمْسَةِ أمْيالٍ؟ وأنَّ وزْنَهُ يتَراوحُ بيْنَ مِئَةٍ وخَمسينَ ومئَتينِ وخَمسينَ كيلو غرامًا؟

وأنَّ الرُّومانَ كانوا يُنَظِّمونَ حَفْلاتِ مُصارَعَةٍ للأُسودِ كما أنَّ سُكّانَ فرَنْسا يُنَظِّمونَ مَعارِكَ للدُّيوكِ؟".

شعَرَتْ لينا بالصُّداعِ؛ ليسَ هذا ما أتَيا للبَحْثِ عنْهُ. مدَّتْ يدَها تَفْرُكُ عيْنَيْها.

قالتِ السُّلَحْفاةُ: "يتَجاوَزُ قُطْرُ عيْنِ سمَكِ الحَبّارِ العِمْلاقِ سِتَّةً وثلاثينَ سنتمترًا، وهِي أكبَرُ عيْنٍ لحَيَوانٍ. ومنَ المَعْروفِ أنَّ قُطْرَ عيْنِ أضْخَمِ حوتٍ أزرقَ لا يتَجاوَزُ اثنَي عشَرَ سنتمترًا".

ضَحِكَ جوريٌّ منَ المَوْقِفِ العَبَثِيِّ الذي وقعَا فيهِ. ضَحِكَ فبانَتْ أسْنانُهُ.

قالتْ السُّلَحْفاةُ: "عددُ أسْنانِ الإنْسانِ البالِغِ اثْنانِ وثَلاثونَ؛ سِتَّ عَشْرَةَ سِنًّا في الفكِّ العلويِّ وسِتَّ عَشْرَةَ في الفَكِّ السُّفليِّ، وتبْدَأُ أسْنانُ الطِّفْلِ في الظُّهورِ في عُمُرِ شَهْرَيْنِ". أرادَتْ لينا ألّا تُضَيِّعَ المَزيدَ منَ الوَقْتِ، فوَجَّهَتْ سُؤالَها إلى السُّلَحْفاةِ: "أخْبِرينا أيَّتُها السُّلَحْفاةُ، كيفَ نحْصُلُ على الشَّعْرَةِ الذَّهَبِيَّةِ للأسَدِ ذي الشَّعْرَةِ الذَّهَبِيَّةِ؟".

قالتِ السُّلَحْفاةُ: "ولِماذا أُخْبِرُكُما؟!".

دُهِشَتْ لينا، بيْنَما تراجَعَ جوريٌّ إلى الخَلْفِ. أضافَتْ السُّلَحْفاةُ: "أنْتُما لا تعْرِفانِ شيئًا عنْ أيِّ شيْءٍ، لقدْ سألْتُكُما إنْ كُنْتُما تعْرِفانِ العَديدَ منَ الأشْياءِ فلمْ تعْرِفا. إذنِ ابْقَيا في جهْلِكُما!".

قالتْ لينا: "لكنَّنا نعْرِفُ العَديدَ منَ الأشياءِ؛ أنتِ تسْألينَنا عنِ الأشياءِ التي لا نعْرِفُها فقطْ". لمْ يَبْدُ على السُّلَحْفاةِ الاِقْتِناعُ بِما سمِعَتْ، فبَدَأتْ تتَهَيَّأُ للنَّوْمِ.

أضافَتْ لينا: "نحنُ في حاجَةٍ إلى معْلومَةٍ تعْرِفينَها، فلماذا لا تُساعِدينَنا؟".

تجاهَلَتْ السُّلَحْفاةُ تَوَسُّلاتِ لينا، وأغْمَضَتْ إحدى عَيْنَيْها، لكنَّها لاحَظَتْ أنَّ لينا تكادُ أنْ تَبْكي.

قالتْ السُّلَحْفاةُ: "هلْ تعْلَمينَ أنَّ الدُّموعَ تُفْرِزُها غُدَّةٌ خاصَّةٌ بالعَيْنِ؟ وأنَّ وظيفَتَها الأساسِيَّةَ هي تشْحيمُ العَيْنِ والحِفاظُ علَيْها رَطْبَةً؟ وأنَّها تحْتَوي على مادَّةٍ اسْمُها ليسوزيم وظيفَتُها الأساسِيَّةُ قتْلُ المَيْكروباتِ؟". هنا خطَرَتْ فِكْرَةٌ لجوريٍّ؛ إنَّ السُّلَحْفاةَ تعْرِفُ الكثيرَ جدًّا منَ المَعْلوماتِ إلا إنَّها غَبِيَّةٌ لا تفْهَمُ ما تَقولُ، وإنَّما تُرَدِّدُ ما تعْرِفُهُ عنْ أيِّ شيْءٍ تراهُ دونَ مُناسَبَةٍ.

جلَسَ جوريٌّ على الأرضِ، وجَمَعَ بيَدَيْهِ قِطَعَ الجُبْنِ الطَّرِيَّةِ، ضَمَّها معًا وبدَأ في تَشْكيلِها. اسْتَرْعى ما يفْعَلُهُ انْتِباهَ السُّلَحْفاةِ ففَتَحتْ عَيْنَها المُغْلَقَةَ، وأخَذَتْ تُتابِعُ ما يفْعَلُ. لقدْ رأى جوريٌّ الأسَدَ ذا الشَّعْرَةِ الذَّهَبِيَّةِ مرَّةً واحِدَةً فقط، لكنَّهُ لا يَزالُ يتَذَكَّرُ شَكْلَهُ جيِّدًا. لمْ تمْضِ دَقائقُ حتّى كانَ قدْ صنَعَ للأسَدِ نموذَجًا صَغيرًا منَ الجُبْنِ. كانَ عَمَلُهُ مُتْقَنًا حتّى إنَّ السُّلَحْفاةَ تعرَّفَتْ علَيْهِ؛ قالتِ السُّلَحْفاةُ: "هلْ تعْلَمانِ أنَّ الأسَدَ ذا الشَّعْرَةِ الذَّهَبِيَّةِ حارِسُ هذا الجبلِ وحاميهِ منَ الدُّخَلاءِ والمُتَطَفِّلينَ؟ وأنَّ تعاويذَ ساحراتِ الزَّمَنِ القديمِ هِيَ الّتي مَنَحَتْهُ قُواهُ السِّحْرِيَّةَ؟ وأنَّ في لِبْدَتهِ شعْرَةً ذَهَبِيَّةً تُضيءُ في اللَّيلِ، وتخْرُجُ منها ألْسِنَةُ اللَّهَبِ؟". نظَرَتْ لينا إلى جوريٍّ في سَعادَةٍ؛ لقدِ اسْتَطاعَ أنْ يحُثَّ السُّلَحْفاةَ على الكلامِ، وإنْ لمْ يَعْرِفا بعْدُ ما أتَيا منْ أجْلِهِ.

وهنا جذَبَ جوريٌّ الشَّعْرَةَ الذَّهَبِيَّةَ منْ رأْسِ نموذَجِ الأسَدِ. رأتِ السُّلَحْفاةُ ما فعَلَ، فأضافَتْ: "هلْ تعْرِفانِ أنَّ أحدًا لا يسْتَطيعُ أنْ ينْتَزِعَ الشَّعْرَةَ الذَّهَبِيَّةَ منْ رأْسِ الأسَدِ، إلّا إنْ غنّى لهُ إحدى أُغْنياتِ الأطْفالِ؟! وأنَّ الأسَدَ المُتَوَحِّشَ يصيرُ هادِئًا ورَقيقًا جدًّا، وعِنْدَها يسْتَطيعُ أيُّ شَخْصٍ أنْ يأخُذَ منْهُ ما يُريدُ طالَما يَسْمَعُ الأسَدُ الأُغْنِيَةَ؟".

وهنا، جَذَبَ جوريٌّ لينا منْ يَدِها وانْطَلَقا يجْرِيانِ، لقدْ عَرَفا أخيرًا حَلَّ اللُّغْزِ!





هَلْ تَحْفَظينَ أُغْنِيَةً؟

كانتْ لينا تعْتَقِدُ أنَّ الأسَدَ ذا الشَّعْرَةِ الذَّهَبِيَّةِ مُجَرَّدُ أسَدٍ عاديٍّ لكنَّهُ يمْتَلِكُ شعْرَةً ذَهَبِيَّةً في لِبْدَتِهِ، لكنَّها لمّا تكُنْ تتَصَوَّرُ أنَّهُ في هذه الضَّخامَةِ والقُوَّةِ حتّى رأتْهُ. يسْكُنُ الأسَدِ في الجِهَةِ الأُخْرى منَ نَهرِ الزُّبْدِ، لذا كانَ على كلٍّ منْ لينا وجوريٍّ أنْ يَعْبُرا النَّهْرَ كيْ يَصِلا إلَيْهِ. بالنِّسْبَةِ إلى لينا، لمْ يكُنْ الأمْرُ يمَثِّلُ لها أيَّةَ مُشْكِلَةٍ، فالطُّولُ المُفْرِطُ للحِذاءِ الذي تَرْتَديهِ كانَ يسْمَحُ لها بالمَشْيِ على قاعِ النَّهرِ دونَ أنْ تبْتَلَّ مَلابِسُها. أمّا جوريٌّ فقدِ اضْطُرَّ إلى السِّباحَةِ وسْطَ الزُّبْدِ اللَّزِجِ حتّى صارَ شكْلُهُ مُرْعِبًا عنْدَما خرَجَ منَ النَّهرِ. أخَذَ جوريٌّ يُحاوِلُ جاهِدًا التَّخَلُّصَ منَ الزُّبْدِ الذي عَلِقَ بمَلابسِهِ دونَ جَدْوى، بيْنَما أخذَتْ لينا تضْحَكُ منْ منْظَرِهِ. وهنا، سَمِعا صَوْتَ حرَكَةٍ بينَ الأحْراشِ القَريبَةِ؛ لقدِ انْتَبَهَ إلَيْهِما الأسَدُ، وارْتَجَفَتْ لينا عنْدَما رأتْهُ.

كانَ الأسَدُ بالِغَ الضَّخامَةِ، لَوْنُه شَبيهٌ بالنُّحاسِ المَصْقولِ، عَيْناهُ حَمْراوانِ كالدَّمِ، لِبْدَتُهُ صَفْراءُ شَعِثَةٌ وبها شَعْرَةٌ طَويلَةٌ يخْرُجُ منْها اللَّهَبُ.

زأرَ الأسَـدُ فخَـرَجَ منْـهُ صَـوْتٌ كَهَديـرِ حرَكَـةِ قَطيـعٍ مـنَ الجامـوسِ الـبَرِّيِّ. ضرَبَ الأسَـدُ الأرضَ بقَدَمِـهِ واقْـتَرَبَ منْهُـما مُسْـتَعِدًّا للانْقِضـاضِ. وهنـا صرَخَ جوري في لينا: "اِبْدَئي بالغِناءِ فَوْرًا!"

لكـنَّ لينـا نَسـيَتْ كلَّ أغـاني الأطْفـالِ في هـذه اللَّحْظَـةِ! فَضْـلًا عـنْ أنَّهـا لمْ تكُنْ تُحِبُّ الِاسْـتِماعَ إلى الأغـاني أساسًـا، فَطيلَـةَ عُمُرِهـا وهِـي مشْـغولَةٌ في تدْبيرِ المَقالِبِ، وليْسَ لدَيْها وقْتٌ لِغَيْرِ هذا الأمْرِ!

أخيرًا تذَكَّرَتْ لينا أُغْنِيَةً فصاحَتْ:

"يا أطْفالُ، يا أطْفالُ، اِشْرَبوا الحَليبَ، للصِّحَةِ، للقُوَّةِ، اِسْألوا الطَّبيبَ!"

لكنَّ الأسَدَ لمْ يتَأثَّرْ بلْ زادَ هِياجًا؛ يبْدو أنَّ الأُغْنِيَةَ لمْ تُعْجِبْهُ!

صرَخَ جـوريٌّ وهُـو يـكادُ أنْ يُمْـسِيَ وليمَـةً للأسَـدِ: "غَـيِّري هـذه الأُغْنِيَـةَ المُسْتَفِزَّةَ!".

لمْ تعْرِفْ لينا ماذا تفْعَلُ. فكَّرَتْ سَريعًا و:

"بِلادي، بِلادي، بِلادي، لكِ حُبّي وَفُؤادي!"

وهنا اتَّضَحَ أنَّ الأسَدَ كان ذا مَشاعِرَ وطَنِيَّةٍ؛ إذْ ما لَبِثَ أنْ هَدَأ وجَلَسَ على الأرضِ، بعْدَ أنْ كانَ قابَ قَوْسَيْنِ أو أدْنى منْ رَقَبَةِ جوريٍّ! تنَفَّسَ جوريٌّ الصُّعَداءَ، واقْتَرَبَ منَ الأسَدِ الرّابِضِ لِيَسْحَبَ الشَّعْرَةَ الذَّهَبِيَّةَ، لكنَّ لينا، إذْ انْشَغَلَتْ في مُتابَعَةِ ما يَفْعَلُهُ، توَقَّفَتْ عنِ الغِناءِ، فمَدَّ الأسَدُ يدَهُ لِيَفْتِكَ بجوريٍّ الذي قفَزَ ليَتَعَلَّقَ بأحَدِ فُروعِ الأشْجارِ. اِنْتَبَهَتْ لينا وعادَتْ إلى الغِناءِ، فجَلَسَ الأسَدُ! نظَرَ جوريٌّ إلى لينا نَظْرَةً غاضِبَةً؛ لقَدْ كادَتْ أنْ تُودي بحَياتِهِ بِسَبَبِ شُرودِها، لكنَّهُ لمْ يقْدِرْ أنْ يَفْعَلَ أكْثَرَ منْ تَوْجيهِ النَّظَراتِ، ولمْ يُكَلِّمْها حتّى لا تَنْسى نفْسَها مَرَّةً أُخْرى وتتَوَقَّفَ عنِ الغِناءِ!

نَزَلَ جوريٌّ عنِ الشَّجَرَةِ، واقْتَرَبَ منَ الأسَدِ الذي صارَ هادِئًا كالمُنَوَّمِ مِغْناطيسِيًّا، وشَدَّ شَعْرَتَهُ الذَّهَبِيَّةَ. ولدَهْشَتِهِ، اِنْتُزِعَتِ الشَّعْرَةُ بيَدِهِ في مُنْتَهى السُّهولَةِ! أخَذَ جوريٌّ يَتَراجَعُ إلى الخَلْفِ بَطيئًا، وكذا فعَلَتْ لينا وهِي مُسْتَمِرَّةٌ في الغِناءِ إلى أنِ ابْتَعَدا. اِسْتَمَرَّتْ لينا في الغِناءِ مُدَّةً بعْدَ ذلكَ، لكنْ لمْ يكُنْ ثَمَّةَ خطَرٌ لأنَّ الأسَدَ كانَ قدْ نامَ.



الحَارِسُ الشَّفَّافُ للبَوّابَةِ!

اِسْتَغْرَقَ الأمْرُ مِنْ لينا وجوريٍّ يومًا كامِلًا للنُّزولِ مِنَ الجبلِ الذي توَغَّلا فيهِ أكْثَرَ مِمّا ينْبَغي للحُصولِ على ما طلَبَهُ التِّنّينُ. كانَتْ لينا قدْ أخْرَجَتِ الوَرَقَةَ منْ جيْبِها لِتَرى البَنْدَ الرّابِعَ فرَأَتِ العِبارَةَ التّالِيَةَ:

البَنْدُ الرّابِعُ

لا يُوجَدُ! أحْضِري أيَّتُها المُغامِرَةُ ما حصَلْتِ علَيْهِ والباقي على التِّنّينِ.

تعَجَّبَتْ لينا عنْدَما قرَأَتْ هذا البَنْدَ. هلْ لهذا الكَلامِ معْنًى، أمْ إنَّ التِّنّينَ كانَ لدَيْهِ فائضٌ منَ الحِبْرِ فقَرَّرَ أنْ يكْتُبَ به أيَّ شيءٍ؟

كانَ الظَّلامُ قدْ حَلَّ عنْدَما كانا على وَشْكِ الخُروجِ مِنَ الجبلِ، وقدْ فضَّلا إكْمالَ المَسيرِ في ضَوْءِ النَّهار. كادا أنْ يُهَيِّئا نفْسَيْهِما للنَّومِ لَوْلا أنْ لاحَظا حارِسَ البَوّابَةِ وهُو يُحلِّقُ فَوْقَهُما! كائنٌ ضخْمٌ كجبلٍ صَغيرٍ، مُتَشَعِّبٌ كالأشْجارِ، شَفّافٌ كالهُلامِ، تتَساقَطُ منْهُ قَطَراتٌ مِنْ سائلٍ كريهٍ طَوالَ الوَقْتِ؛ إنَّهُ شَبَحٌ منْ نَوْعٍ خاصٍّ.

فيما بعْدُ، عرَفَتْ لينا منْ جوريٍّ أنَّ هذا الشَّبَحَ هو حارسُ بَوّابَةِ الخُروجِ منَ الجبلِ، الذي يمْنَعُ النّاجينَ منْ أهْوالِهِ منَ النَّجاةِ بأرْواحِهِمْ، ويَحْكُمُ علَيْهِمْ أنْ يظَلُّوا تائهينَ إلى الأبَدِ! لمْ تكُنْ تعْرِفُ هذا، لمْ تكُنْ تعْرِفُ سِوى أنَّها ترْتَجِفُ منَ الخَوْفِ، ولها الحَقُّ في هذا.

لكنَّ جوريًّا كانَ على معْرِفَةٍ سابِقَةٍ بالشَّبَحِ، فقَدْ كانَ زميلًا لهُ عنْدَما كانَ قِرْدًا!

عَرَّفَ جوري نفْسَهُ للشَّبَحِ، وطَلَبَ منْهُ أنْ يترُكَهُما وشَأْنَهُما، وأنْ يُراعيَ حقَّ الزَّمالَةِ القَديمَةِ. لمْ يُصَدِّقِ الشَّبَحُ في البِدايَةِ، لكنَّهُ لمْ يَلْبَثْ أنْ تعَرَّفَ على جوريٍّ وسَلَّمَ علَيْهِ. عرَّفَهُ جوري بلينا فمَدَّ يدَهُ اللَّزِجَةَ يُسَلِّمُ علَيْها، اِشْمَأَزَّتْ إذْ شَعَرَتْ وكَأنَّها تُصافِحُ طبَقًا منَ المُهَلَّبِيَّةِ!

كانَ الشَّبَحُ مُحْتارًا في البِدايَةِ، بيْنَ مُراعاةِ صَداقَتِهِ لجوريٍّ، وبيْنَ أداءِ واجِباتِهِ الوَظيفِيَّةِ التي تُحَتِّمُ علَيْهِ أنْ يُضايِقَهُما، سواءٌ بالتِهامِهِما أوْ بمَنْعِهِما منَ الخُروجِ.

وبعْدَ مُناقَشاتٍ طَويلَةٍ معَ جوريٍّ، سَمَحَ لهُما أخيرًا بالمُرورِ بشَرْطٍ واحِدٍ، هو أنْ يَجْرِيَ ذلكَ الآنَ، ودونَ أنْ ينْتَظِرا الصَّباحَ، لأنَّهُ ينْسى في الصَّباحِ كلَّ ما يَحْدُثُ في اللَّيْلِ، وهكذا سَيَلْتَهِمُهُما فوْرًا إذا رآهُما بعْدَ ذلكَ!

أمْسَكَ جوري بيَدِ لينا وقالَ لها: "هيّا بنا!".

ثُمَّ انْطَلَقَ بها يَجْريانِ صَوْبَ الشَّبَحِ! فزِعَتْ لينا وأرادَتْ أنْ تتَراجَعَ، لكنَّ جوريًّا جَذَبَها بشِدَّةٍ حتّى اصْطَدَما بالشَّبَحِ.

شعَرَتْ كأنَّها تسْبَحُ في بحْرٍ منَ المُهَلَّبِيَّةِ اللَّزِجَةِ البارِدَةِ، حتّى عبَرَتْ منْ خِلالِ جسَدِ الشَّبَحِ؛ لقدْ عبَرا البوّابَةَ وخَرجا منَ الجبلِ!

اِنْطَلَقا يجْرِيانِ وسْطَ الظَّلامِ بلا تَوَقُّفٍ.

اِصْطَدَما بالعَديدِ منَ الأشْجارِ، وتعَثَّرا بالكَثيرِ منَ الصُّخورِ.

اِسْتَغْرَقَ الأمْرُ وقْتًا أطْوَلَ مِمّا ينْبَغي، لكنَّهُما في النِّهايَةِ وصَلا إلى مَنزِلِ عمَّةِ لينا.

الإِكْسيرُ

قالَتِ العَمّةُ وهِي تضَعُ لهُما أقْداحَ الكاكاوِ السّاخِنِ على الطّاوِلَةِ: "أنا فَخورَةٌ بكِ يا لينا؛ لقدْ أثْبَتِّ أنّكِ ذَكيّةٌ وشُجاعَةٌ. وأنتَ يا جوريٌّ، حَسَنٌ أنّا وجَدْناكَ بعْدَ كلِّ هذه المُدَّةِ، لقدْ كانَ والِداكَ في غايَةِ الحُزْنِ منْذُ فقَداكَ". قالتْ لينا: "وهلْ تعْرِفينَ جوريًّا؟".

ردَّتِ العمّةُ: "بالطَّبْعِ! إنَّهُ منْ قرْيَتِنا، وكانَ طِفْلًا مُزْعِجًا مِثْلَكِ تمامًا، قبْلَ أنْ نفْقِدَهُ في الجبلِ".

كانَ التِّنّينُ لا يزالُ نائمًا في مكانِهِ المُفَضَّلِ، أسْفَلَ الطّاوِلَةِ، وكانَ شَخيرُهُ يتَعالى في المكانِ. ركَلَتْهُ لينا بقَدَمِها فقَفَزَ مَفْزوعًا!

صاحتْ بِهِ: "أما زِلْتَ نائمًا؟ ترَكْتَني أذْهَبُ وَحْدي، ثُمَّ آتي لأجِدَكَ نائمًا؟ ألا تُحاوِلُ حتّى أنْ تتَظاهَرَ بالقَلَقِ؟!".

فرَكَ التِّنّينُ عيْنَيْهِ ونظَرَ إلى لينا وجوريٍّ مُتَعَجِّبًا، وآثارُ النَّوْمِ لا تزالُ على وجْهِهِ، ثُمَّ لمْ يَلْبَثْ أنْ تهَلَّلَتْ أساريرُهُ.

"أهلًا لينا، جيِّدٌ أنَّكِ عُدْتِ بالسَّلامَةِ! أهلًا بِقِرْدِنا العَزيزِ!".

هتَفَ جوريٌّ مُغْضَبًا: "أنا لستُ قِرْدًا. أوْ على الأقَلِّ، لمْ أعُدْ كذلكَ!".

قالَ التِّنّينُ مُوجِّهًا كلامَهُ إلى لينا: "هلْ أحْضَرْتِ الأشياءَ المَطْلوبَةَ؟".

أخْرَجَتْ منْ جَيْبِها الأشياءَ التي حصَلَتْ علَيْها، ووَضَعَتْها على الطّاوِلَةِ أمامَهُمْ. الورَقَةُ الحَمْراءُ، والبُرْغِيُّ، والشَّعْرَةُ الذَّهَبِيَّةُ.

صاحَ التِّنّينُ: "عظيمٌ جدًّا! يُمْكِنُني الآنَ أنْ أبْدَأَ العَمَلَ".

أحْضَرَ التِّنّينُ وِعاءً صَغيرًا ووَضَعَهُ أمامَهُ، ثُمَّ أمْسَكَ الشَّعْرَةَ الذَّهَبِيَّةَ ورَبَطَ أحَدَ طرَفَيْها بالورَقَةِ الحَمْراءِ، والطَّرَفَ الآخَرَ بالبُرْغِيِّ، وفي الحالِ خرَجَتْ شَراراتٌ كَهْرَبِيَّةٌ مُضيئةٌ منَ البُرْغِيِّ وسارَتْ عبْرَ الشَّعْرَةِ الذَّهَبِيَّةِ، حتّى وَصَلَتْ إلى الورَقَةِ الحَمْراءِ التي بدَأَتْ بالذّوَبانِ! أخْفَتْ لينا عيْنَيْها بيَدَيْها لتَتَّقي سُطوعَ الضَّوْءِ، بيْنَما تراجَعَ جوريٌّ والعَمَّةُ إلى الخَلْفِ. لمْ تمْضِ بِضْعُ ثَوانٍ حتّى ذابَتِ الأشياءُ الثَّلاثَةُ وتحَوَّلَتْ إلى سائلٍ أخضرَ في الوِعاءِ، يتَصاعَدُ منْهُ الدُّخانُ.

هتَفَتْ لينا: "أخيرًا!" ومَدَّتْ يدَها تُريدُ أنْ تشْرَبَ ما في الوِعاءِ.

صاحَ بها التِّنّينُ: "توَقَّفي!"، وجذَبَ الوِعاءَ بَعيدًا.

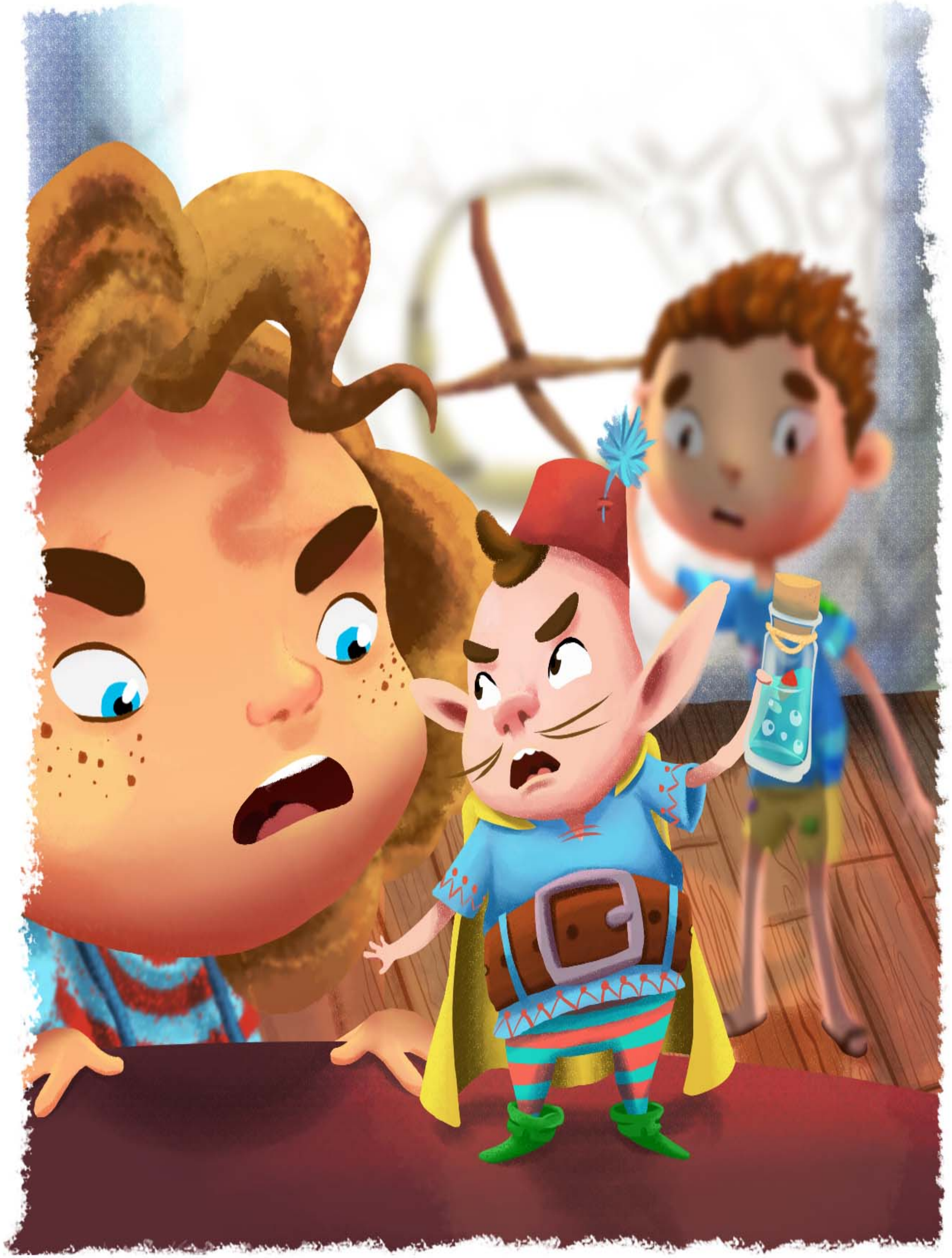
"إنَّ شِفاءَكِ بهذا الإكْسيرِ، لكنَّها ليْسَتْ أنتِ منْ يجبُ أنْ تشْرَبَهُ!"

سألتْ لينا: "إذنْ منْ؟".

أجابَ التِّنّينُ: "السّاحِرَةُ!".

"ماذا؟!"، سألت لينا مُتَعَجِّبَةً، "هلْ تُريدُ أنْ تقولَ إنَّ شِفائي يَتِمُّ حينَ تشْرَبُ السّاحِرَةُ الإكْسيرَ؟!".

"هو كذلك!"، أجابَ التِّنّينُ، ثُمَّ أضافَ: "أمّا كيْفَ يَجْري ذلك فتِلْكَ مُشْكِلَتُكِ أنتِ!"، قالَ هذا، وعادَ إلى النَّوْمِ أسْفَلَ الطّاوِلَةِ وارْتَفَعَ شَخيرُهُ في المَكانِ!





اللَّيْلَةُ الأَخِيرَةُ لِلْكُوخِ الأَزْرَقِ

لا يَزالُ الكوخُ الأزرق كما هو، بجُدْرانِهِ التي تهْتَزُّ كالهُلام، والبُخارِ الذي يتَصاعَدُ منْ نوافِذِهِ. حتّى الغُرابُ الأخضرُ كانَ يجْلِسُ في مَكانِهِ المُعْتادِ عنْدَ النّافِذَةِ العُلْوِيَّةِ، بعْدَ أنْ يئسَ منْ مُتابَعَةِ لينا في الجبلِ بعْدَ أنِ انْضَمَّ إلَيْها جوري. كان الوقتُ ساعةَ الأَصيلِ؛ السّاحرَةُ، التي تنامُ نَهارًا وتعْمَلُ طَوالَ اللَّيلِ، على وَشْكِ الاسْتيقاظِ، وأشِعَّةُ الشَّمْسِ البُرْتُقاليَّةُ الغارِبَةُ تسْقُطُ على الكوخِ الأزرقِ فيَتَلَوَّنُ في بعْضِ أجْزائهِ بالأخضرِ والبَنَفْسَجِيِّ، ويتَصاعَدُ منْهُ المَزيدُ منَ البُخارِ.

كانَ جوريٌّ ولينا مُخْتَبِئَيْنِ خَلْفَ إحدى الشُّجَيْراتِ القَريبَةِ. اِقْتَرَبَتْ لينا منَ الكوخِ بحِذائها العَجيبِ وهِي تُحاولُ عدَمَ إصْدارِ أيِّ صَوْتٍ كَيْ لا تُوْقظَ السّاحرَةَ أوِ الغُرابَ الرّاقِدَ عنْدَ النّافِذَةِ العُلْوِيَّةِ، وبطولِها المُفْرِطِ كانَ في اسْتطاعَةِ لينا أنْ تُمْسِكَ بالغُرابِ النّائمِ منْ مِنْقارِهِ وتُلْقي بهِ في حَقيبَةٍ قُماشِيَّةٍ، ثُمَّ تُناوِلَهُ جوريًّا الذي أحْكَمَ إغْلاقَ الحَقيبَةِ بدوبارَةٍ وألْقاها بَعيدًا!

أرادَتْ لينا أنْ تَدورَ حَوْلَ الكوخِ كَيْ تتَلَصَّصَ على السّاحرَةِ النّائمَةِ، إلّا أنَّها، لسوءِ حَظِّها، تعَثَّرَتْ في جُزْءٍ منْ جِذْعِ شَجَرَةٍ كانَ على الأرضِ، فسَقَطَتْ على وجْهِها مُحْدِثَةً جَلَبَةً هائلَةً. وعنْدَما تسْقُطُ لينا وهِي مُرْتَدِيَةٌ حِذاءَها العَجيبَ فإنَّ سُقوطَها يُشْبِهُ سُقوطَ مَنْ يَقَعُ عنْ سَطْحِ الكوخِ!

فُتِحَ بابُ الكوخِ عَنيفًا، وخرَجَتِ السّاحرَةُ الغاضِبَةُ لترى لينا السّاقِطةَ على الأرضِ، وجوريًّا يُساعِدُها على النُّهوضِ.

صرَخَتِ السّاحرَةُ: "أنتِ مرَّةً أُخرى أيَّتُها الطِّفلَةُ المُزْعِجةُ؟". ثُمَّ نظَرَتْ إلى جوريٍّ: "وأنتَ؟ ألَمْ أُحَوِّلْكَ إلى قِرْدٍ العامَ الماضي؟ سأُريكُما ما سأفْعَلُهُ بكُما هذه المرَّةَ".

وهنا، كانتْ لينا قدِ اسْتَطاعتِ الوُقوفَ، ورأَتْها السّاحرَةُ بطولِها الجَديدِ للمَرَّةِ الأولى، ففَزِعَتْ وتراجَعَتْ إلى الوراءِ، فتعَثَّرَتْ بجِذْعِ الشَّجَرةِ نفْسِهِ الذي تعَثَّرَتْ به لينا، فسقَطَتْ على ظَهْرِها وانْحَسَرَتْ تَنُّورَتُها، وبانَتْ أرْجُلُها السِّتَّةُ!

وجَدَ جوريٌّ ولينا الفُرْصَةَ مُواتِيَةً الآنَ للهُجومِ على السّاحرَةِ، فاسْتَجْمَعا شجاعَتَهُما، وهجَما علَيْها يُريدانِ تقْييدَها، لكنَّها ركَلَتْ جوريًّا رَكْلَتَيْنِ باثْنَتَيْنِ منْ أقْدامِها، وركَلَتْ لينا ركلَتَيْنِ بأُخْرَيَيْنِ، وهرَشَتْ رأْسَها بالخامِسَةِ بَيْنَما ظلَّتْ السّادِسَةُ دونَ حِراكٍ!

وقفَتْ السّاحرَةُ، ونفَضَتْ الغُبارَ عنْ تَنُّورَتِها وهِي تضْحَكُ بصَوْتٍ عالٍ: "هاهاهاهاها! هلْ ظنَنْتُما أنَّكُما ستتَغَلَّبانِ علَيَّ في هذه السُّهولَةِ؟ إنَّكُما لَواهِمانِ!".

كانَتِ الشَّمْسُ قدْ غابَتْ، والسَّماءُ أظْلَمَتِ الآنَ. لكنَّ الرُّؤيَةَ كانتْ مُمْكِنَةً بفِعْلِ الضَّوْءِ الأزْرَقِ الغَريبِ المُنْبَعِثِ عنِ الكوخِ. رفعَتِ السّاحرَةُ يَدَيْها إلى فَوْقٍ، وتَمْتَمَتْ ببَعْضِ العِباراتِ الغَريبَةِ، فتَجَمَّعَتِ السُّحُبُ السَّوْداءُ في السَّماءِ، وانْطَلَقَتْ بُروقٌ ورُعودٌ مُفْزِعَةٌ في المكانِ. كانَ واضِحًا أنَّ السّاحرَةَ في أَوْجِ غضَبِها، وأنَّها لنْ تتَوَرَّعَ عنْ فِعْلِ أيِّ شيءٍ لتَقْضِيَ على لينا وجوريٍّ. شيئًا فشيئًا، بدَأَتِ البُروقُ تتَجَمَّعُ في يدَيِّ السّاحرَةِ على شكْلِ كُرَةٍ مُضيئةٍ مُتفَجِّرةٍ، وعنْدَما كبُرَتِ الكُرةُ كِفايةً، ألْقَتْ بها علَيْهِما.

قفَزَ جوريٌّ وسقَطَتْ لينا على الأرضِ، فمَرَّتِ القَذيفَةُ منْ فَوْقِ رأْسَيْهِما ليَشُمّا بعْدَ ذلكَ رائحَةَ دُخانٍ ونارٍ. اِلْتَفَتَتْ لينا خلْفَها لترى الشَّجَرةَ خلْفَهُما تحْتَرِقُ. بدأتْ أشِعَّةُ البَرْقِ تتَجَمَّعُ مرَّةً أُخرى بيْنَ يدَيِّ السّاحرَةِ وهِي تتَلَفَّظُ بكَلِماتٍ غَريبَةٍ ذاتِ حُروفٍ مَمْطوطَةٍ. تذَكَّرَتْ لينا أحَدَ مَقالِبِها القَديمَةِ، فأخْرَجَتْ قِنّينَةَ الإكْسيرِ الذي صنَعَهُ التِّنّينُ والمِقْلاعَ القَديمَ الذي كانَتْ تُضايِقُ به عمَّتَها، وأخذَتْ تُصَوِّبُه على فَمِ السّاحرَةِ. كانتْ كُرةُ البَرْقِ قدْ بدَأتْ تكْبُرُ، والسّاحرَةُ تسْتَعِدُّ لإطْلاقِها، حينَ أطْلَقَتْ لينا القِنِّينَةَ! كانَ تصْويبُها مُوَفَّقًا؛ دخَلَتِ القِنِّينَةُ مُباشَرَةً فَمَ السّاحرَةِ، وقدْ بدا أنَّها قدِ ابْتَلَعَتِ الإكْسيرَ بِزُجاجَتِهِ! على الفَوْرِ، فقَدَتِ السّاحرَةُ السَّيْطَرَةَ على كُرةِ البَرْقِ التي اسْتَمَرَّتْ في التَّضَخُّمِ، حتّى انْفَجَرَتْ في وجْهِ السّاحرَةِ التي أطْلَقَتْ صَرْخَةً مُريعَةً، ثُمَّ تحَوَّلَ جسَدُها إلى مَجْموعَةٍ منْ عِشْرينَ غُرابًا أسْوَدَ حلَّقَتْ في السَّماءِ حتّى اخْتَفَتْ. وشيئًا فشَيئًا، تبَدَّدَتِ الغُيومُ السَّوْداءُ في السَّماءِ، وعادَ الطَّقْسُ كما كانَ. نظَرَتْ لينا إلى الكوخِ فوَجَدَتْ مكانَهُ بِرْكَةً زرْقاءَ،



وفي الحَقيبَةِ التي حبَسا فيها الغُرابَ الأخضرَ، سمِعَ جوريٌّ صوتَ خفَقانِ أجنِحَةٍ. فتَحَ الحَقيبَةَ فخَرَجَتْ منْها عُصْفورَةٌ صَغيرَةٌ حلَّقَتْ في الفَضاءِ.

خلَعَتْ لينا حِذاءَها في حذَرٍ. لا بُدَّ وأنَّها قدْ تخَلَّصَتْ منَ اللَّعْنَةِ الآنَ بعْدَ أنْ تَلاشى السِّحْرُ، خطَتْ خُطْوَتَها الأولى وَجِلَةً فلَمْ تسْمَعْ شيئًا؛ فرِحَتْ لينا إذْ تخَلَّصَتْ منَ السِّحْرِ واتَّجَهَتْ إلى البِرْكَةِ الزَّرْقاءِ، لكنْ: "تِكْ تَكْ! تِكْ تَكْ!" اِقْشَعَرَّ بَدَنُها؛ أكانَ كلُّ هذا بلا فائدَةٍ؟ هلْ تعِبَتْ كلَّ هذا التَّعَبِ لِـ...:

"هاهاهاهاها!!".

كانَ هذا جوريًّا وهُو يضْحَكُ ضِحْكَةً مَجْنونَةً، وبيَدَيْهِ حَجَرانِ صَغيرانِ يُحْدِثُ بهِما هذا الصَّوْتَ. لقدْ كانَتْ دُعابَةً ثقيلَةً لمْ تتَحَمَّلْها لينا، فالْتَقَطَتْ حِذاءَها الطَّويلَ العَجيبَ عنِ الأرضِ، وانْطَلَقَتْ تجْري خَلْفَهُ!

ومنْ بَعيدٍ، منْ خلْفِ الأشْجارِ، كانَ قُرْصُ القَمَرِ قدْ بدَأَ بالظُّهورِ.

***




النِّهايَةُ